مجلة تدبر

عُنيت بـ: خبرات طيبة للبحوث والدراسات

رخصة إعلامية: 149603

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني - المجلد الأول - السنة الأولى - السنة الإلكترونية. رجب ١٤٤٥هـ/ يناير ٢٠٢٤م

معتمدة في معامل أرسيف لعام 2023 | DOI Prefix 10.62488 | ردمد إلكتروني: 9718 - 1658

موضوعات العدد:

- استدلال الإمام الشافعي بالسياق في تفسيره آيات الأحكام - دراسة تطبيقية تحليلية
  د. حسن بن ثابت الحازمي
- من بيان القرآن عن تمايز أوصاف أصناف النعيم في جنان «سورة الرحمن»
  أ.د. أحمد محمد محمود سعيد
- قصة «مؤمن سورة يس» تفسير ولطائف وأحكام
  د. ماجد بن عبدالرحمن الصمعان
- القواعد الدعوية المستنبطة من قصة الملأ من بني إسرائيل في سورة البقرة «دراسة استنباطية تحليلية
  د. عبداللطيف بن حمود التويجري
- الدلالة المعنوية والوظيفية للتضمين في كتاب غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للإمام شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني المتوفى عام (٨٩٣هـ) «دراسة نظرية تطبيقية»
  د. عادل بن عمر بن عمر بيسلم بصفر
- توصيات الباحثين في المجلات العلمية المحكمة «دراسة استقرائية تقويمية مجلة تدبر أنموذجا»
  د. عبدالله بن عبدالعزيز العبيد
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان: الهدايات القرآنية في سورة التوبة من الآية (٩٣) إلى آخر السورة وفي سورة يونس من الآية (١: ٢٥) دراسة تطبيقية.
  د. هشام محمد سيف
- تقرير عن كتاب علمي بعنوان:
  متن: التمهير في أصول التفسير وشرحه: التحبير شرح التمهير في أصول التفسير
  لمؤلفه: أ.د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع
- تقرير عن ملتقى دولي بعنوان: الملتقى الدولي الثاني لطلبة كليات القرآن الكريم «القيم الإنسانية في القرآن الكريم التأصيل والتنزيل» بالجامعة القاسمية بالإمارات العربية المتحدة

ISSN Arcif Analytics ORCID INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL
Google scholar معرفة e-Marefa دار المنظومة DAR ALMANDUMAH Crossref

مجلة تدبر

مِنْ بَيَانِ القُرْآنِ عَنْ تَمَايُزِ أَوْصَافِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ فِي جِنَانِ «سُورَةِ الرَّحْمَنِ»

From the Rhetoric of Holly Quran on Differentiating Descriptions of Ranks of Bliss of «Na›im» in the Gardens «Surat AR-Hman

(Issn-E): 1658-9718

DOI Prefix 10.62488

أ.د. أحمد محمد محمود سعيد

Professor/ Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed

أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي؛ الأزهر الشريف بمصر، وطيبة بالمدينة المنورة

Professor of Rhetoric & Criticism, Department of Arabic Language & Humanities, Taibah University

قدم للتحكيم في المجلة بتاريخ: ٦-٩-١٤٤٤هـ، الموافق ٢٨-٣-٢٠٢٣م

قبل للنشر بتاريخ: ١٨-١-١٤٤٥هـ، الموافق: ٥-٨-٢٠٢٣م

نشر في العدد السادس عشر: رجب ١٤٤٥هـ، يناير ٢٠٢٤م

مدة التحكيم مع قبول النشر: (١٣٠ يومًا).

متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٢٠٥ يومًا).

- مواليد عام ١٣٨٤هـ الموافق: ١٩٦٤م، محافظة البحيرة-بجمهورية مصر العربية.
- حصل على درجة الليسانس من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بمصر عام ١٩٨٩م
- نال درجة الدكتوراة في اللغة العربية - من قسم البلاغة والنقد -كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، عام ٢٠٠١م، بأطروحته: (من بلاغة القيود والمتعلِّقات في الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم)..
- نال درجة الماجستير من قسم البلاغة والنقد -كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، عام ١٩٩٧م، بأطروحته: (شعر عبيد بن الأبرص ... دراسة بلاغية نقدية)

بعض النتاج العلمي:

- «من وجوه الإعجاز النظميّ في آيات الإنس والجنّ التقديم والتأخير»؛ بحث منشور في حوليَّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - فرع جامعة الأزهر بدسوق، ع٤، (٢٠٠٢م).
- «من أسرار التعبير بالاسم الظاهر في موضع الضمير في الحديث النبويّ الشريف دراسة تطبيقية لإحدى صور مخالفة مقتضى الظاهر في صحيح مسلم». كتابٌ مودع في دار الكتب المصرية برقم ١٧٩٣٠، (٢٠٠٣ م).
- «الإيحاء البلاغي و أثره النفسي في تحقيق الغرض الشرعي لآيات الربا»، حوليَّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - فرع جامعة الأزهر بدسوق.، ع.٦، (٢٠٠٤م).
- «من وجوه الملاءمة بين المقال والمقام في وصفَي العذاب «المهين والأليم» في الذكر الحكيم» بحثٌ منشور في مجلة قطاع كليات اللغة العربية والأقسام المناظرة لها - جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، (٢٠٠٨م).
- «الإيحاء البلاغي لـ «ها» التنبيه إثباتًا وإسقاطًا من اسم الإشارة «أولاء» الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم»، مجلة تدبر، مج٢، ع.١٢، (فبراير٢٠٢٢م).
- «من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في الذكر الحكيم»، مجلة تدبر، مج١، ع.١٤، (يناير٢٠٢٣م).

البريد الشبكي: Email: d.ahmed201664@yahoo

https://orcid.org/0009-0009-5900-6662

المُسْتَخْلَص

موضوعُ البحث: النظرُ في تفاصيلِ أنواعِ النعيمِ الواردةِ في جنانِ (سورة الرحمن)، وعَقْدُ موازناتٍ بلاغيةٍ بين ما تَكَرَّرَ منها في دَرَجَتَيْهَا؛ لإظهار وجوه الاتفاق والتمايُز بينهما.

مشكلةُ البحث: تَكمُن مشكلةُ البحث في اختلاف العلماء في تحديد رُتْبَة كلِّ جَنَّتَيْن من جِنان (سورة الرحمن)، ويأتي دَرْوُ المُوازنات مُوضِّحًا ومرجِّحًا ما تراه البلاغةُ أَعْلَىٰ.

أهدافُ البحث: الكشفُ عن عظمة البيان القرآني في الإشادة بِنَعيم كلِّ جنتين من جنان (سورة الرحمن)، مع الاحتفاظ لكل طبقة بِرُتْبَتِها، وبيان عُلُوِّ رُتْبَة الْجَنَّتَيْنِ الأُوليَيْن.

منهجُ البحث: يَنْتهِج البحثُ المنهجَ الفنيَّ الوصفيَّ، ويَستثمرُ أصول نظريةَ النَّظْم في تَفَحُّصِ خصائصِ التراكيب القرآنيةِ، وتَتَبُّعِ دقائقِ دلالاتها؛ دَعْمًا لِفكرته وتحقيقًا لِهدفه.

من أهم نتائج البحث: أوَّلًا: كَشَفَ البحث عن تصرّف النظم الكريم في بيانه عن تمايُز أوصاف أصنافِ النعيم في جنان (سورة الرحمن) تصرّفًا دقيقًا جلَّىٰ الفروق الكبيرة بينهما.

ثانيًا: تَرَجَّح أنّ المقصود مِن تأخير الترغيب بذكر الْجِنَانِ بعد الترهيب بذكر النيران طيُّ أسباب الإقناط، وفتحُ أبواب الرجاءِ أمامَ العُصاة إن هم تابوا وأنابوا.

ثالثًا: تَجلَّىٰ مِن ذِكْر أصحابِ الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيْن دُون ذِكْر أصحابِ الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيْنِ التنويهُ بِشأن المذكورين، والإشادةُ بِدرجة خَوْفِهِم مَقامَ ربِّهم ﷻ.

رابعًا: التمس البحث أن يكون أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ -الذين لم يُذْكَروا- من غلّبوا الرَّجاء؛ لأن عَلاقَة العبدِ بربه ﷻ تقوم علىٰ تَحْقِيقِ العبد الخَوْف والرَّجَاء معًا، فإذا كان أهل الجنتين الأوليين «من خاف»، وكانت رُتبتهم أعلىٰ -كانت الجنتان الدنيان لمن رجا، وكانت رتبة جنتيهم المؤخرتين -كما صرح النظم الكريم- أدنىٰ، والله تعالىٰ أعلم.

خامسًا: تُقَرِّر (سورة الرحمن) -مِن خِلال تمايز تَيْنِكَ الدَّرَجَتَيْنِ- أنَّ جزاء العاملين سيكونُ في الآخرة علىٰ وَفْق أعمالهم، وأنَّ ثوابَهُم سَيَتَمَايَزُ علىٰ حَسَب تَمَايُزِ اجتهادِهم.

سادسًا: تَبَيَّن بالتحليل أنَّ صُنُوف النعيم في كلٍّ مِن طَبَقَتَيْ جِنان (سورة الرحمن) وإنْ تَكرَّرت فقد وقعَ التّمَايُزُ في تفاصِيلِها في كلٍّ، وكذا فِي تَغايُرِ تراتيبِهما؛ لاعتبارات ذُكرت في مظانّها من البحث.

سابعًا: مع اتِّفاقِ طَبَقَتَيْ جنان (سورة الرحمن) في أصناف النعيم، فإنه يَخْتَصُّ نَعيمَ كلِّ طَبَقَة بِتَفَاصِيلَ تُمَيِّزُها عن الطَبَقَة الأخرىٰ، مع بقاء الطَبَقَة العُليا أرقىٰ في كل الصنوف.

كلماتٌ مِفْتَاحِيَّة: مُوَازَنَات، بَلَاغَة، جِنَان، النعيم، القرآن، سورة الرحمن.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

From the Rhetoric of Holly Quran on Differentiating Descriptions of Ranks of Bliss of "Na'im" in the Gardens "Surat AR-Hman"

Professor/ Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed

Professor of Rhetoric & Criticism, Departmen
of Arabic Language & Humanities, Taibah University

Reviewed on: 6-9-1444 AH, corresponding to 28-3-2023
Publication approved on: 18-1-1445 AH, corresponding to: 5-8-2023 M.
Published in the sixteenth issue: in: Rajab 1445, January 2024
Period of review and publication approval letter: (130 days).
Average period of review and publication: (205 days)
E-mail: d.ahmed201664@yahoo
https://orcid.org/0009-0009-5900-6662

- obtained a bachelor's degree from Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Egypt, in 1989 AD
- obtained a doctorate degree in the Arabic language - from the Department of Rhetoric & Criticism - Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo, in 2001 AD, with his thesis entitled: (From Rhetoric of Restraints and matters in Hadith in Sahih Moslem)
- obtained a master's degree from the Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo, 1997, with his thesis: (The poetry of Ubaid bin Al-Abras - A critical Rhetorical Study)

From Academic Production:

- Men Wajouh Alijaz Al-Nazmy fi Ayat Alins waljin, Altaqdeem waltaqeer (From Aspects of Structural Miracle in verses of Alins and Aljin, anastrophe(. Research published in the Yearbook of the Faculty of Islamic and Arab Studies - Al-Azhar University, Dessouk Branch, No. 4, (2002 M)
- Men Asrar Aktabeer bilism Alzaher fi modaa Aldameer fi Alhadith Alnabawy Derass Tatbeqiya lihda sour Mokhalaft Moqtada Al-Zaher in Sahih Muslim

Allah, may His Glory be praised, is based on doing the servant of both fear and hope, so if the people with the first two gardens are "ones who fear," and their rank is higher, then the two lower delight (Paradise) are ones who hope, and the rank of their later two Gardens, as stated by the noble comparisons, is lower, and Allah Almighty knows best.

Fifthly: (Surat Ar-Rahman) states, through the differentiation of these two ranks, - that the reward of the people in the Hereafter is going to be based on their deeds, and that their reward will be performed as per the differentiation of their diligence.

Sixthly: The analysis finds that the ranks of delight (Paradise) are in each of the two ranks of Gardens (Surat Ar-Rahman), and even if they are repeated, the distinction occurred in their details in each, as well as in the difference of their rankings for considerations mentioned in the research in a presumble manner.

Seventh: Although the two ranks of Gardens (Surat Ar-Rahman) agree in the ranks of delight (Paradise), the latter of each rank is based on details that distinguish it away from the other ranks, with the upper ranks remaining the finest in ranks.

Keywords: Comparisons, Rhetoric, Gardens, Delight (Paradise), AL-Quran, Surat Ar-Rahman

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

Abstract

Research Title: Considering the details of the types of delight (Paradise) mentioned in Gardens (Surat Ar-Rahman), and making rhetoric comparisons between its two repeated ranks for showing agreement and distinction between them.

Research problem: The problem of the research lies in difference of opinion of scholars in determining the rank of each two Gardens (Surat Ar-Rahman), and the analysis of the comparisons clarifying and giving preference to what the rhetoric deems higher.

Research Objectives: The greatness of the Quranic rhetoric is revealed in praising the delight (Paradise) the two Gardens (Surat Ar-Rahman), while keeping each rank of class, and explaining the high rank of the first two Gardens.

Research Methodology: The research adopts the descriptive artistic approach, and takes advantage the principles of comparison theory in examining the feature characteristics of Quranic structures and tracing the subtleties of their semantics in support of his idea and to progress its objective.

The most prominent research results are: Firstly: The research finds out the noble behavior of its rhetoric of the differentiation of the ranks of delight (Paradise) in Gardens (Surat Ar-Rahman) in an accurate manner which does show the great differences between them.

Secondly: It is likely that the purpose o for delaying the exhortation through mentioning the gardens upon the intimidation through indicating the Fire along with causes of the despair and open the doors of hope for the disobedient if they repent and turn back to Allah.

Thirdly: It is clarified as a result of mentioning the people with the two highest Gardens, without showing the people with the two lower Gardens, is mentioning those ones stated, and the praise of the ranks of their fear in the presence of position of their Allah, may His Glory be praised.

Fourthly: The research seeks that the people with the two lower Gardens, who are not mentioned, -be ones weighted the hope; as the servant's relationship with

Allah, may His Glory be praised, is based on doing the servant of both fear and hope, so if the people with the first two gardens are "ones who fear," and their rank is higher, then the two lower delight (Paradise) are ones who hope, and the rank of their later two Gardens, as stated by the noble comparisons, is lower, and Allah Almighty knows best.

Fifthly: (Surat Ar-Rahman) states, through the differentiation of these two ranks, - that the reward of the people in the Hereafter is going to be based on their deeds, and that their reward will be performed as per the differentiation of their diligence.

Sixthly: The analysis finds that the ranks of delight (Paradise) are in each of the two ranks of Gardens (Surat Ar-Rahman), and even if they are repeated, the distinction occurred in their details in each, as well as in the difference of their rankings for considerations mentioned in the research in a presumble manner.

Seventh: Although the two ranks of Gardens (Surat Ar-Rahman) agree in the ranks of delight (Paradise), the latter of each rank is based on details that distinguish it away from the other ranks, with the upper ranks remaining the finest in ranks.
eywords: Comparisons, Rhetoric, Gardens, Delight (Paradise), AL-Quran, Surat Ar-Rahman

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أَكرَمَنا بالإسلام، وامْتَنَّ علينا بِنعمة الإيمان، ثُمَّ وَعَدَنَا عليه المكافأةَ بِالرِّضْوان والْجِنَان، وجعل نعيمَها درجاتٍ متمايِزةً؛ لِيُكافِئَ تَفاوُتَ اجتهادِ العُبَّادِ في التقرُّب إليه ﷻ، وأَوْرَد أوصافَها فِي الذِّكْر الحَكِيم بإزاء ذلك التفاوُتِ تنشيطًا لِهِمَمِ العاملين، وصَلِّ اللَّهُمَّ، وسَلِّمْ، وزِدْ، وبَارِكْ علىٰ إمام المتقين وسيد الغرّ المُحَجَّلِين، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وعلىٰ آله وصَحْبِهِ وتَبَعِهِ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، فإنَّ (سورة الرحمن) قد وَصَفَتْ نعيم المؤمنين المُوَحِّدِين في دار الخلود، وجعلته طَبَقَتَيْن بِحسب دَرَجَتَيهِم المَوْصُوفَتَيْن في أكثرَ من موضع من الذِّكْر الحَكِيم، ومن ذلك ما ورد في أوَّل (سورة الواقعة) حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠]، وما ورد في آخرها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٤]، وغيرهما.

ومما يلفت في (سورة الرحمن) روعةُ وَصْفِ النعيم في كلٍّ من طَبَقَتَيْ الْجِنَان، وتَمَيُّز كلٍّ منهما بِكراماتٍ تَليق بِكونهما مكافأتَيْن لأصحابهما في الآخرة، مع البراعة الفائقة في الإبقاء علىٰ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَعْلَىٰ رُتْبَةً مِنْ نعيم الجنتين الدُّنْيَيَيْنِ.

ومن غرض البحث أن يتتبّع وجوه التَمَايُزِ الكامنة في أوصافِ النعيم لأهل كلِّ طبقةٍ من طبقتي الجنان المذكورتين في (سورة الرحمن) عن أوصاف نعيم أهل الطبقة الأخرىٰ؛ بحيث يتقرَّر لدىٰ العباد تَحقُّقُ عدل الله ﷻ في مجازاة أهل الجنان، كما يتقرَّر تفاوتُ نعيمهم بحسب تفاوت اجتهاد كلٍّ في عبادته في الحياة الدنيا، ويتجلَّىٰ

عُلُوُّ درجة الطبقة الأولىٰ علىٰ درجة الطبقة الأخرىٰ؛ فيجتهدوا حتىٰ يكونوا من أهل الطبقة العليا ما أمكنهم الاجتهاد.

كما أن من دوافع البحث أن يُبين عن المزايا التي تنفرِد بها كل طبقةٍ وتُرغِّب فيها؛ بحيث لا يُستهان بنعيم أيَّة طبقةٍ منهما، ولا يُزهَد فيما يَناله أصحابُها من متاع؛ لذلك اصطفىٰ البحثُ لنفسه مصطلحَ الـ (تمايُز) لا الـ (تفاوت)؛ كما أن في لفظ الـ (تفاوت) إيحاءً بتفاوت البيان القرآني، وهذا لا يليق، كما أنه ليس مقصودًا.

وتتجلىٰ تلك الفروق بدرَاسة وجوه التمايز بين صنوف النعيم الواردة في جنان (سورة الرحمن)؛ لاتِّحاد جِهَات النَّعيم التي طَرَقَتْ السُّورَةُ الكَرِيمَةُ وَصْفَهَا، وذلك الاتحاد من أهم أسس الموازنات الدقيقة، ويَسْبِقُ تِلْكَ الموازناتِ مقدمةٌ، وتمهيدٌ، وتَلْحَقُها خاتمة، وفهارس علىٰ النحو التالي:

المقدمـــــة: وفيها أسبابُ اختيار الموضوع، وخطةُ البحث، ومنهجُه.

مبحث تمهيـــديّ: يُعَرِّف بِـ(سورة الرحمن)، ويُبَيِّنُ المقصودَ بِالمُوازَنات. إلخ.

الموازنـــة الأولىٰ: بين مطلع وصفي النعيم في كلّ طَبَقَة.

الموازنة الثانيـــة: بين وَصْفَي الخُضْرَةِ في كلّ طَبَقَة.

الموازنة الثالثـــة: بين أوصاف العَيْن في كلّ طَبَقَة.

الموازنة الرابعـــة: بين أوصاف الفَوَاكِهِ في كلّ طَبَقَة.

الموازنة الخامسة: بين أوصاف الفُرُشِ في كلّ طَبَقَة.

الموازنة السادسة: بين أوصاف الحُورِ العِينِ في كلّ طَبَقَة.

الموازنة السابعة: بين خاتمة أوَصْافِ النعيم في كلّ طَبَقَة.

خاتمـــــة البحث: وفيها أهمّ نتائجِ الدراسةِ، مِمَّا أرجو لها التوفيق والقبول.

قائمـــــة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

هذا، واللهَ ﷻ أرجو أن يكون وَحْدَهُ مِن وَرَاءِ القصْد، وهو ﷻ حَسْبُنا ونِعم الوكيل.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

التمهيد

التعريف بـ (سورة الرحمن)[1]، **ووجه تسميتها بذلك**: سورة الرحمن «مَكِّيَّة... [وقيل:] مَدَنِيَّة...، وكَلِمُها ثَلَاثُ مِئَةٍ وَإِحْدَىٰ وَخَمْسُونَ كلمة، وحُرُوفُها ألفٌ وستُّ مِئَةٍ وَستَّةٌ وَثَلَاثُونَ حَرْفًا، وَهِي سَبْعُونَ وستّ [آية]»[2]. قال ابن عاشور: «وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا»[3]. وترتيبها في المصحف الخامسةُ والخمسون، تَسْبِقُها سورة القمر، وتَلْحَقُها سورة الواقعة.

و«اشتملت هذه السورة علىٰ جميع نعم الدنيا والآخرة، من ذكر الخَلْق والرزق، بالأقوات والفواكه، والحلىٰ وغيرها، والفهم والعلم، والجنة وتفصيل ما فيها، والنار وأهوالها، فإنها نعمة من حيث إنها -بالخوف منها- سببٌ لِنَيْل الجنة وما فيها، ومن حيث إنها سارَّةٌ لمن يَنْجُو منها بالنجاة منها»[4]؛ وهذا وجه تسميتها بـ **(سورة**

---

(١) اشتُهِر وصف هذه السورة الكريمة بـ «عروس القرآن»، وذكر الألباني - في السلسلة الضعيفة - الأثرَ الوارد في هذا، ثم قال: «منكر، أورده السيوطي في الجامع الصغير، من رواية البيهقي في شُعَب الإيمان، وكذا في المشكاة ٢١٨٠، وكَشف عن عِلَّته المناويُّ فقال في الفيض: وفيه أحمد بن الحسن - دبيس - عدَّه الذهبيُّ في الضعفاء والمتروكين، وقال الدارقطنيّ: ليس بثقة». محمد ناصر الدين الألباني، «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة». (ط١، الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، برقم ١٣٥٠.

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني، «البيان في عدّ آي القرآن». تحقيق غانم قدوري الحمد، (ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص:٢٣٧.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير». (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ٢٧: ٢٢٨.

(٤) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، «مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَىٰ مَقَاصِدِ السُّوَرِ»، ويُسَمَّىٰ: (المَقْصِدُ الأَسْمَىٰ فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّىٰ)». (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ٣: ٤٦.

الرحمن)، أما القول بأن الوجه «أَنَّهَا ابْتُدِئَتْ بِاسْمِهِ تَعَالَىٰ: الرَّحْمنُ...»[٥] فتوجيه ظاهري لا يكفي، إذ لا يجلِّي العلاقة الدقيقة بين اسم السورة الكريمة وما عالجته من موضوعات.

موضوعات السورة الكريمة: تعالج (سورة الرحمن) ثلاثة موضوعات هي على الترتيب:

الموضوع الأوّل: تعديدُ أُمَّهاتِ النِّعَم الدنيوية المُبَاشِرَة، مثلُ نِعْمَةِ الخَلْق والتعليم، ونعمةِ الشمس والقمر، ونعمة البحار والجَوارِ المنشآت...إلخ. وذلك من أول السورة الكريمة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٩-٣٠].

الموضوع الثاني: ذِكْرُ وَعِيدِ الكافرين والعُصَاةِ وتَحذِيرُهُم وَزَجْرُهُم عن الكُفْر والمعاصي بذِكْر صُوَر العذاب التي تنتظرهم. وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٤-٤٥].

الموضوع الثالث: تَعْديدُ أوصافِ الْجِنَان التي تنتظرُ المؤمنين في الآخرة، وتَنْوِيعُ نعيمها، وبيانُ تَمَايُزِ أوصافِها لِتكونَ بإزاء تَمَايُزِ ما يَقُومُون به من صالح الأعمال. وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. إلىٰ آخر السورة الكريمة.

من أسرار ترتيب ذِكْر الجنان ونعيمها علىٰ ذكر النيران وجحيمها:

يبدو -واللهُ ﷻ أعلم بمراده- أن ذِكْرِ الْجِنَان وتفاصيل نعيمها -تبشيرًا

(٥) محمد بن جرير الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ٢٧: ٢٢٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

للموحِّدين- أُخِّر بعد ذِكْرِ النيران وما يَتعلَّق بها -تحذيرًا للكافرين- طَيًّا لأسبابِ الترهيب بين يَدَي أسبابِ الترغيب، وتلطيفًا لآثارِ التخويفِ بعد استحكامه في النفوس بِفتح أبواب الرجاء؛ ولِتَبقَىٰ أسبابُ الترغيب -وقد سِيقتْ علىٰ إثْرِ أسباب الترهيب- هي العالقةَ في النفس المتلقِّية؛ فتتعلق بها وتعمل لها.

بل إن تَدبُّر بَدْء السورة الكريمة وخَتْمها لَيُقَرِّران عظمة الرحمة الرَّبَّانيَّةِ بِعباده جميعًا؛ فقد اكتنفت الرحمةُ من طرفَي السورة الكريمة أسبابَ الترهيب ومظاهر الزجر، فبَدأتْ بِذِكر رَحَمَاتِ الدُّنْيا وخَتَمَتْ بِذِكْر رَحَمَاتِ الأخِرَة، وذلك مما يتَّسِقُ بِقُوَّة مع قول الله ﷻ -في الحديث القدسي الشريف-: «**لَمَّا قَضَىٰ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»(٦).

فيَبدو -والله ﷻ أعلم بمراده- أن المقصود مِن ذلك الترتيب طَيُّ أسباب الترهيب داخلَ أسبابِ الترغيب، وإحاطة آثار التخويف والتهديد بمظاهر الرحمات من حواليه؛ وإن كانت أسبابُ الترهيب من العقوبة الأخروية قد سَبَقَتْ فإن أسباب الترغيب - المؤخَّرة ذِكْرًا - ستَطوي ذِكْرَها المؤلِم، وتَبشِّر النفس المتلقِّية بِمَحْو أَثَرها المُؤْيِس إذا هي أقبلت علىٰ ربها الرحمن؛ لِتَبْقىٰ أسبابُ الترغيب عالقةً في النفس وقد سِيقَتْ علىٰ إِثْر مظاهر الترهيب - كما سبق.

يقول صاحب التفسير القرآنيِّ لِلقُرآن: «**ثم تجيء مغفرة الله ورحمتُه فتمحو آثار هذا العقاب، وتُعَفِّي عليه لِمَن وجَّه وجهه إلىٰ الله ﷻ، وطلب الصفح والمغفرة**»(٧).

---

(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، «صحيح البخاري». تحقيق د. محمد زهير الناصر، (ط١، مصر: المطبعة الكبرىٰ الأميرية ببولاق،١٤٢٢هـ)، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، برقم ٣١٩٤. وفي رواية أخرىٰ: «كتب في كتاب».

(٧) عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن». (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ٣: ١٠٩٧.

تأخير ذِكر الرحمة إذن يؤول بها إلىٰ تقدُّم رُتبتها في قوانين الشريعة، وهذا يتَّسق تمام الاتساق مع غلبة رحمة الله ﷻ وسبْقِها غضبَه ﷻ؛ ولذلك قال في تفسير المنار: بأن تأخير ذكر التوبة الملزومة للرحمة في آية ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة:٣٨] لا ينافي كونها «سَابِقَةً وَمُقَدَّمَةً عَلَىٰ الْعَذَابِ الْمُطْلَقِ»(٨)، والله تعالىٰ أعلم(٩).

وذلك يدعم قول أهلِ البلاغة بأنّ ما يُخْتَمُ به الكلامُ وما يَنتهي إليه المتكلِّم يكون هو الأبْقَىٰ في النفس، ويطلقون عليه «براعة المقطع، أو براعة الخِتام، وهي: أنْ يُخْتَم [الكلامُ] بِختامٍ حَسَن، إذْ هو آخِرُ ما يَطْرُقُ الأسماعَ، أو يَقعُ عليه نَظَرُ القارئ، فيَحْسُنُ فيه أن يكون بمثابة أطيبِ لُقْمةٍ في آخرِ الطعام، أو بِمثابةِ آخرِ اللَّمْساتِ الناعمات المُؤثِّرات، الّتِي تَعْلَقُ في النفوس، وتَسْكُنُ عندها سُكُونَ ارتياح، وتَظَلُّ لهَا ذكرياتٌ

(٨) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني، «تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)»، (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ٦: ٣١٧.

(٩) بمراجعة مواضع ذِكْر الجنة ونعيمها والنار وجحيمها مجتمِعَيْنِ في القرآن الكريم، أو ذِكر أصحابِ هذه وأصحاب تلك متوالِيَيْن – تتأكَّدُ غَلَبَةُ ذلك الترتيب في الذِّكْر الحَكِيم – والله تعالىٰ أعلم –. انظر مواضعه في الذِّكْر الحَكِيم، ومنها – علىٰ سبيل المثال قولُ الله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١ – ٨٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١]. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٤٠ – ٤٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود:٢١ – ٢٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٦ – ١٠٨]. إلىٰ غير ذلك من مواضع ذكر النار والجنة في القرآن الكريم.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

تُحرِّكُ النفوسَ بالشوق إلىٰ المزيد من أمثال ذلك الحديث»[١٠].

المقصود بـ «المُوَازَنات» الواردة في عنوان البحث:

«المُوَازَنات» جَمْع: «المُوَازنة». ومادَّتُه اللُّغَوِيَّةُ: «وَزَنَ». و«الْوَزْنُ فِي اللُّغَةِ: التَّقْدِيرُ، يُقَال: وَزَنَ الشَّيْءَ: قَدَّرَهُ بِوَسَاطَةِ الْمِيزَانِ»[١١]، وتقول: «وازَنْتُ بين الشيئين مُوازَنَةً ووِزَانًا، وهذا يُوازِنُ هذا: إذا كان علىٰ زِنَتِهِ، أو كان مُحَاذِيَهُ»[١٢]، و«وَازَنْتُهُ مُوَازَنَةً: عَادَلْتُهُ وَقَابَلْتُه»[١٣]. و«هَذَا يُوازِنُ أو إِذا كَانَ مُحَاذِيَهُ»[١٤]. و«وَازَنَهُ: عَادَلَهُ وقَابَلَهُ»[١٥]، و«هو مُوَازِنُهُ. أي: عَدْلَهُ وحِذَاؤهُ وقُبَالَتُهُ»[١٦]. فالموازنةُ إذنْ «إلقاءُ شيءً في الكِفَّةِ الوَاحدة بإزاء شيء في الكِفَّة الأخرىٰ»[١٧]، والموسوعة الفقهية تُقَرِّرُ

(١٠) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، «البلاغة العربية». (ط١، دمشق - بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ٢: ٥٦٣.

(١١) «الموسوعة الفقهية الكويتية». (د.ط، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٧هـ)، ٣٥: ١٧٧.

(١٢) نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، «الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح العلامة الجوهري (و) المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية)». تقديم: عبد الله العلايلي، (د.ط، د.ن، د.ت)، ص: ٥٧١٧.

(١٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده، «المخصص». تحقيق خليل إبراهيم جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ٣: ٣٧٤.

(١٤) أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، «لسان العرب». الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، (وزن)، ١٣: ٤٤٧.

(١٥) محمد حسن حسن جبل، «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)». (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، (وزن)، ٤: ٢٣٦٢.

(١٦) أحمد رضا، (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، «معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)». (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٧٧ - ١٣٨٠هـ)، (وزن)، ٥: ٧٥٠.

(١٧) أَبُو المجد عقيل بن عطية بن أبي أحمد القضاعي، «تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبىٰ والمآل»، ومعه: «مراتب الجزاء يوم القيامة لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر =

أنه «لَا يَخْتَلِفُ مَعْنَىٰ الْوَزْنِ فِي الاِصْطِلَاحِ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ»(١٨).

وبناء علىٰ ما سبق يتَّضح أن الموازنة المقصودة بين طَبَقَتَيْ الْجِنَان في (سورة الرحمن) تَعْنِي النظرَ إلىٰ كل طَبَقَة بإزاء الأخرىٰ وبحذائها وقبَالَتَها، ووَضْع كل شبيهٍ في كِفَّةٍ تُوَازِن شَبِيهَهُ في الكِفَّةِ الأُخْرىٰ؛ لِنَرىٰ الفروق النظمية الدقيقة بينهما، وما تَتَمَيَّزُ به أنواع كلِّ طَبَقَةٍ من جنان (سورة الرحمن) من مزايا جلَّاها البيان القرآني الدقيق. وسنرىٰ إن شاء الله ﷻ أن لكل طَبَقَة منهما خصائصَ ومَزايا، وأنّ أُولاهُما أعْلىٰ وأفضل مِن الأخرىٰ؛ لأنهما مكافآتٌ لأعمالٍ، وأسبابٌ لِنَعيم.

= الحميدي». تحقيق مصطفىٰ باحو، (ط١، أبو ظبي: دار الإمام مالك، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ١: ٣٥٥.

(١٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٣٥: ١٧٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ محلُّ الدِّرَاسَةِ

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٧٨]

◆ ◆ ◆

توطئة: ينبغي التنبيه هنا إلىٰ ملمحين هما من صميم بلاغة السورة الكريمة:

الملمح الأول: في طريقة التحوُّل والتخلُّص من الحديث الترهيبيِّ عن صور العذاب، إلىٰ الحديثَ الترغيبي عن نعيمِ الْجِنَان، والتنويه بِتفاصيل صنوفه؛ فقد انتقل النظم الكريم بِسَلَاسَةٍ لا تُشعِر بِصدمة الانتقال، ويُسْرٍ لا يُحِسُّ فيه المتلقي بِتَفاوُت

المعاني؛ إذ جاءت جُملة التَّحَوُّل من الحديث عن النيران إلىٰ الحديث عن الْجِنَان جامعة لِطرفَيهما علىٰ السواء.

فعبارة الانتقال هي قول الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ[19] رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، ترىٰ أوَّلها ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ يتعلق بالترهيب السابق عليها في الحديث عن النار، فيصرِّح النظمُ الكريم بخوفِ مقامِ الرَّبِّ ﷻ المنجِّي من أسباب ذلك العذاب.

وآخرُ عبارة الانتقال إلىٰ الحديث الترغيبي: ﴿جَنَّتَانِ﴾، وذلك عين الترغيب الآتي بعدها. انظر السياق: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٤٧].

الملمح الثاني: اختصاصُ الذِّكْر الحكيم نعيمَ كلِّ طبقةٍ من طبقتي جنان (سورة الرحمن) بمزايا تخصُّها وتُرَغِّب فيها، وإيداعه أوصافَ كلٍّ منهما حيثيَّاتِ التشويق إليها. وبذلك تَمَايَزتا تَمَايُزًا يُرغِّب فيهما جميعًا، وفي الوقت ذاته تجدُ البيان القرآني العالي يحتفظُ لكلِّ طبقة من الطبقتين بِرُتْبَتِها من حيث الأفضليّة، وبِتَوَازٍ وتَوازُنٍ عَجِيب، هو مِن عجائب إعجازه البلاغي التي لا تَتَناهىٰ، ولا تتأتَّىٰ لِسواه.

وتجد في تصنيف الْجِنَان إلىٰ طَبَقَتَيْنِ مكافأةً لأهل كل طَبَقَة بِحَسَبِ اجتهادهم قبلًا في دار التكليف؛ فيتحقَّق العدلُ المُطْلَقُ في الآخرة، ويَظفَرُ أهلُ كلِّ طَبَقَة بالدرجة

---

(١٩) قال الماتريدي: «سَمَّىٰ البعثَ: مقامًا بين يدي ربه، وسماه: رجوعًا إليه، ومصيرًا، وبروزًا، فهو علىٰ وجهين:

أحدهما: أنه سماه بما ذكر لأن البعث هو نهاية هذ العالم، والثاني: سماه بذلك لأن لِكُلِّ أحدٍ يظهر في ذلك اليوم: أن الأمر لله تعالىٰ، وأن التدبير له في الدنيا والآخرة، وأن لا تدبير لأحد سواه؛ كقوله ﷻ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾». أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، «تأويلات أهل السنة». تحقيق د. مجدي باسلوم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ٩: ٤٧٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

اللائقة بهم، كذلك فيه استحثاث لِهِمَم أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؛ فيَدُومون علىٰ اجتهادهم، ويَجِدُّون في الثبات علىٰ صلاحهم، بل ويحاولون الارتقاء في الصلاح درجاتٍ من باب قوله ﷺ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(٢٠)، كما أنَّ فيه تنشيطًا للأدّنْيْنِ منهم فلا يَقنطون من الفوز برحمة الله ﷻ، ولِتطمئن نفوسُهم إلىٰ مُواتاة الفُرصة وإن قصَّروا، فيَعملوا علىٰ اللِّحاق بِرَكْب الأوائل، والله ﷻ أعلم.

وجه ترتيب صنوف النعيم الواردة في جنان سورة الرحمن:

بيّن العلماء وَجْهَ ترتيبِ صنوف النعيم المذكورة في جنان السورة الكريمة، فقالوا: «ترتيبُ النِّعَم في غاية الحُسْن، فإنَّ الله ﷻ ذَكَر أوَّلا **المسكن** وهو الجنة، ثم بيّن **ما يُتَنَزَّهُ به** من البساتين، فقال: ذَواتا أَفْنان...، فِيهِما عَيْنان...، ثم ذكر **ما يُتَناول من المأكول**، فقال: فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ، ثم ذكر **موضع الراحة** بعد التناول وهو الفراش، ثم ذكر **ما يكون في الفراش** معه من الحُورِيَّات»(٢١).

(٢٠) البخاري، «صحيح البخاري»، ٦: ١٣٥، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، برقم ٤٨٣٦.

(٢١) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». (ط١، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ٢٧: ٢٢٨.

المُوَازَنَةُ الأُولَى

بَيْنَ مَطْلَعِ وَصْفِ جَنَّتَيْ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في مطلع ذِكر جَنَّتَي الطَبَقَة الأعْلَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٧].

ويقول الله ﷻ في مطلع ذِكر الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ دُونَهُمَا: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٢٦ - ٦٣].

من دقَّة النظم الكريم في قول الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ تعريفُ المسند بالموصول ﴿مَنْ﴾؛ الذي أتاح ذِكْرَ جملة الصلة ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بفروعها الثريّة وإشاراتها الغنيّة؛ فأُسند خوفُ مقام الـ ﴿رَبِّ﴾ ﷻ إلىٰ العبد الخائف صراحةً؛ وفي ذلك الإسنادِ يكمُن سببُ تكريم العبدِ وتنعيمه بذلك الجزاء العظيم: ﴿جَنَّتَانِ﴾ لا جنّة واحدة.

كذلك أتاحت جملة الصلة ذِكر المفعول ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ وفي ذكر مقام الرب -بهذه الإضافة- مع إمكان الإيجاز بذكر خوف الربّ مباشرة توجيهٌ للعبد أنّ ربّه ﷻ قائم عليه يراقبه هنا في الدنيا في كل أعماله، أما ذِكر الـ ﴿رَبِّ﴾ ﷻ مباشرة دون ذكر المضاف ﴿مَقَامَ﴾ فقد يَذهب بذهن العبد إلىٰ يوم الحساب الأخروي فقط؛ فاقتضي السياق ذكر ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ليكون أفسح دلالة ويشمل حالي العبد في الدنيا والآخرة. يقول مقاتل في توجيه ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: «الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالمعصية فيَذْكُر مَقامَهُ بين يَدَيِ اللهِ ﷻ فيخافُ فيترُكُها فَلَه جَنَّتَانِ»[٢٢]، وفي الكشاف: «﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ **مَوْقِفُهُ**

(٢٢) أبو الحسن مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان». تحقيق عبد الله محمود شحاته، (ط.١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ٤: ٢٠٢. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، [قال أبو الدرداء] فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الذي يَقِفُ فِيه العبادُ للحساب يومَ القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونَحْوُهُ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾، ويجوز أن يُراد بِـ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: **أنَّ الله** ﷻ **قائمٌ عليه، أي حافِظٌ مهيمِنٌ**، مِنْ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾. فهو ﷻ يُراقِب ذلك؛ فَلا يَجْسُرُ [العبدُ] علىٰ معصيته»[٢٣]، ومن العلماء من قال بأن «خَوْفَ مَقَامِ اللهِ مُرَادٌ بِهِ خَوْفُ اللهِ»[٢٤] ﷺ.

ومن دقّة التعبير القرآني في جملة الصلة ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ذِكْرُ الخوف الصريح

= النَّبِيُّ ﷺ: الثَّانِيَةَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فَقُلْتُ فِي الثَّانِيَةِ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّالِثَةَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فَقُلْتُ الثَّالِثَةَ: وَإِنْ زَنَىٰ، وَإِنْ سَرَقَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ». الإمام أحمد بن حنبل، «مسند الإمام أحمد بن حنبل». تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ١٤: ٣١١، برقم ٨٦٨٣.

وقد يُوهِم ظاهرُ هذا الحديث خلافَ مقصوده؛ لذا بيَّن الإمامُ الطحاويُّ المقصودَ منه، فقال بأن «الزِّنَىٰ وَالسَّرِقَةَ اللَّذَيْنِ أُرِيدَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُمَا زِنًى وَسَرِقَةٌ قَدْ كَانَا فِي حَالٍ - مِمَّنْ كَانَا مِنْهُ - ثُمَّ زَالَ عَنْ ذَلِكَ الْحَالِ إِلَىٰ خَوْفِ مَقَامِ رَبِّهِ ﷻ. وَلَمَّا كَانَتْ هَاتَانِ الْحَالَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ضِدُّ الْأُخْرَىٰ، عَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا كَانَتْ فِي حَالِ عَدَمِ الْأُخْرَىٰ، فَكَانَتِ الْحَالُ الْمَذْمُومَةُ فِي الْبَدْءِ، ثُمَّ تَلِيهَا الْحَالُ الْمَحْمُودَةُ، فَصَارَ صَاحِبُهَا فِيهَا إِلَىٰ خَوْفِ مَقَامِ رَبِّهِ، وَرَدَّ السَّرِقَةَ عَلَىٰ مَنْ سَرَقَهَا مِنْهُ، وَطَلَبَ وَعْدَ رَبِّهِ، وَخَافَ وَعِيدَهُ، وَكَانَ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ مَا ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَجَدْنَا فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ مَا قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِيهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، فَأَعْلَمَنَا ﷻ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْوَعِيدِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]، فَكَانَ مَنْ صَارَ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ صَارَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْوَعْدِ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ». أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الطحاوي، «شرح مشكل الآثار». تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ١٠: ١٦١.

(٢٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٤: ٤٥١.

(٢٤) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٣٠: ٩٣.

وبصيغته الماضية، وفي ذلك إشعارٌ بأن ذلك العبد قد غلب عليه الخوف، ولازَمه حتىٰ صار متحقِّقًا له متأصِّلا فيه ﴿خَافَ﴾، وفي إيثار وصف الـ ﴿رَبِّ﴾ الرحمن ﷻ دون وصف الإله القهّار ﷻ إشعار بأن هذا العبد لِشدَّة خوفه لم يركن إلىٰ الرجاء فيتَّكل إلىٰ ما في وصف الـ ﴿رَبِّ﴾ ﷻ من معاني العطاء والرحمة، ولعلّ ذلك الملمح مما يقرّر القولَ بأن أهل الجنتين الدُّنْيَيْن هم مَن اتَّكلوا من أهل التوحيد فغلَّبوا الرجاء علىٰ الخوف، فَضَعُفتْ أعمالهم.

ومن بلاغة هذا التركيب ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ كذلك تقديمُ المسند ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ علىٰ المسند إليه ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ وفي ذلك تنويهٌ عظيم بشأن ذلك الخائف، إلىٰ درجة أنْ يُقدَّم ذِكرُه علىٰ ذِكر الجَنَّتَيْن، وأنَّ خوفه مقامَ ربِّه قدَّمه وهيَّأه للصدارة، وأن الشأن إنما يتعلق به هو لا بالجنتيْن، وأنّ ذِكر الجنتين إنما سِيق لأجله؛ ولذلك قالوا بأن «اللَّام فِي [قوله ﷻ]: ﴿لِمَنْ خَافَ﴾ لَام الْمِلْكِ، أَيْ: يُعْطَىٰ مَنْ خَافَ رَبَّهُ وَيُمَلَّكُ جَنَّتَيْنِ»[٢٥].

وهذا الذي سبق كلُّه غيرُ مُتاحٍ في مطلع ذِكر الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ - إذا كانوا غيرَ أصحاب الجنتين الْأُولَيَيْنِ، وهم إن شاء الله تعالىٰ كذلك، فَتَجَلَّىٰ بذلك **تَمايُزٌ** سَيترتَّب عليه **تمايُزُ** الجزاء بينهما - علىٰ ما سنراه إن شاء الله تعالىٰ.

وتلحظ أن السورة الكريمة قد صرّحت في مطلع الحديث عن الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِذِكْر أصحابهما مَنْ يَكونون؟ وهم صنف ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾[٢٦]، بينما سَكَتَتْ

(٢٥) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٤.

(٢٦) قال ابن كثير: «وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ كما قاله ابن عباس وغيره» أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم». تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٧: ٤٦٢، قال مقاتل: «يعني جَنَّة عَدْنٍ وجَنَّة النعيم، وهما لِلصِّدِّيقين والشهداء والمقرَّبين والسابقين، وهو [كذلك] الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالمعصية فيّذكر مقامه بين يدي الله ﷻ فيخاف فيتركها فله جنتان». مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

عن ذِكر أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مَن يكونون؟ بل شرعتْ في ذكر جَنَّتَيْهم مباشرة: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، وذلك من وجوه **التمايُز** التي تَتَّسق مع كون هاتين الْجَنَّتَيْنِ الأخيرتين وأصحابِهما **أدنىٰ رُتبةً** من الجنتين الْأُولَيَيْنِ وأصحابِهما؛ لِما في ذِكر أصحاب الجنتين الأُوليَيْن من التنويه بهم وبِعُلُوِّ رُتبتهم في ميزان الحق ﷻ، وما وراء ذلك من التشريف لهم -كما سبقت الإشارة-، والله ﷻ أعلم.

قال القرطبي: «إِنْ قِيلَ: كَيْفَ لَمْ يَذْكُرْ أَهْلَ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؟ قِيلَ: **الْجِنَانُ الْأَرْبَعُ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ إِلَّا أَنَّ الْخَائِفِينَ لَهُمْ مَرَاتِبُ**، فَالْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ **لِأَعْلَىٰ الْعِبَادِ رُتْبَةً فِي الْخَوْفِ** مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْجَنَّتَانِ الْأُخْرَيَانِ **لِمَنْ قَصَرَتْ حَالُهُ فِي الْخَوْفِ** مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ»[٢٧].

ثم يأتي تنكير ﴿جَنَّتَانِ﴾ في مطلع الحديث عن كل طبقةٍ - من طبقتي جنان السورة الكريمة - ليُوحي بِفخامتهما وعظمة نعيمهما في كل طبقة، وينفي عن الجنتين الدُّنْيَيَيْنِ ما قد يُفهَم من وصفُ «**دُون**» - في القيد ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ - مِن ضَعف نعيمهما مما قد يدعو البعضَ إلىٰ الزُّهد فيهما؛ فتنكير جنان السورة في طبقتيها جميعًا **وجهُ اتفاق**.

وللعلماء في توجيه معنىٰ ﴿مِن دُونِهِمَا﴾ قولان: «**أحدهما**: ومن دونهما في **الدرج**. وهذا مذهب ابن عباس، وتأوّلـ[ـه بـ] أنّ هاتين الْجَنَّتَيْنِ هما اللتان قال الله ﷻ فيهما: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، **والقول الآخر**: ومن دونهما في **الفضل** وهذا مذهب ابن زيد، قال: وهم **لأصحاب اليمين**»[٢٨].

---

(٢٧) محمد بن أحمد القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن». تحقيق. إبراهيم البسيوني، (د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ١٧: ١٨٤.

(٢٨) أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، «إعراب القرآن». وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، (ط١، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ٤: ٢١٢.

وردَّد أكثر المفسرين الرأيَ الأخير، فقال الحَسَن بـ«أنّ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ **للسابقين** وهم الذين سبقوا إلىٰ اتِّباع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين...، وأولئك أعظم درجةً وأعلىٰ رُتْبة، ومِن دُون جنتيْهم جَنَّتَانِ **للتابعين**...، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾»[٢٩].

وقال الإمام ابن كثير بأن الجَنَّتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ «دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْمَنْزِلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾»[٣٠].

وقال الماتريدي: «﴿مِن دُونِهِمَا﴾ أي **فِي الفضل والقدر والمنزلة**[٣١]؛ لِفَضْلِ أُولَئِكَ علىٰ أصحاب اليمين، وإن كانت الجَنَّتَانِ جميعًا [نعيمًا] لِكُلِّ فريقٍ منهم... وعلىٰ هذا يخرج قوله تعالىٰ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ علىٰ ما ذكرنا هو شديد الخضرة الذي يضرب إلىٰ السواد، فَوَصَفَ هاتين دُون وَصْفِ تَيْنِك الْجَنَّتَيْنِ بقوله تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، علىٰ التأويل الأول، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ علىٰ ما ذكرنا: أنهما دون الجاريتين، وكذلك رُوِي عن الفراء، قال: العينان تَجريان **أفضلَ من النضاختين** بقوله: **(نَضَّاخَتَانِ)**؛ لأنهما **يَنْضَخان بالخمر والبركة** لأهل الجنة. وقيل: **ينضخان بالماء وأنواع الفواكه**. ورُوِي عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: **تنضخان بالمِسك والعنبر**، كما يَنْضَخ طيرُ الماء علىٰ بيوت أهل الدنيا»[٣٢].

---

(٢٩) محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل». دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد مصطفىٰ آيدين، (ط١، جامعة أم القرىٰ، وزارة التعليم العالي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ١: ١٢٤٥.

(٣٠) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٧: ٥٠٦.

(٣١) وهو اختيار الزمخشري، وأبان في موازنة خاطفة فضل العُلْيَيَيْن علىٰ الدُّنْيَيَيْن فقال: «مدهامّتان دون ذواتا أفنان، ونضاختان دون تجريان، وفاكهة دون كل فاكهة، وكذلك صفة الحُور والمُتَّكأ». الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، ٤: ٤٥٤.

(٣٢) أبو منصور الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٩: ٤٨٣.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

وكذلك قال عبد الكريم الخطيب بأن الجنتين الأخريين «**أَنْزَلُ منهما [أي من الأوليين] درجة، وأدنىٰ منزلة**. وهذا يعنىٰ أن **أهل الجنة ليسوا علىٰ درجة واحدة**. وهذا طبيعي؛ إذ لم يكن المحسنون علىٰ درجة سواء في الإحسان. وهذا ما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]. وقد جاء بيان ذلك في سورة الواقعة التالية لهذه السورة، وفيها يقول ﷻ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:٧ - ١١]. فالناس في الآخرة، علىٰ ثلاثة أحوال: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون من أصحاب اليمين، **وكل حال من تلك الأحوال الثلاثة درجات كثيرة**، يختلف بعضها عن بعض، صعودًا ونزولًا»(٣٣).

وتأتي الموازنات التالية -إن شاء الله تعالىٰ- داعمة لتلك الوجهة، كاشفة -من خلال تتبُّع خصائص كل صنف من صنوف النعيم في كل طبقة- عن علو درجة الجنتين الأوليين عن طبقة الجنتين الأخريين.

علىٰ أنه قد خالف ذلك بعضُ العلماء، فذهبَ إلىٰ أنَّ الْجِنَان الأربع جميعًا ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ المذكور في أوَّل الجنتين العُلْيَيَيْنِ. وأقول: ليس هذا المذهب -مذهبُ من يرىٰ أن الجنان الأربع لصنف واحد- سديدًا؛ لأن مقام الإغراء علىٰ خوف مقامة الرب ﷻ والترغيب فيه يقضي بالترقِّي مِن ذِكر أدنىٰ أوصاف المُرَغَّبِ فيه رُتبةً إلىٰ ذِكر الأعلىٰ رُتبة؛ لِيَظَلَّ المُرَغَّبُ -بهذا التدرُّج- متشوِّفًا إلىٰ المزيد، ولا يُترَك لِلفتور بِالنزول إلىٰ ذِكر الأدنىٰ بعد ذكر الأعلىٰ من أوصاف المُرَغَّبِ فيه، وهذه المسَلَّمة توجب تصعيد أوصاف النعيم هنا لا تضعيفها والنزول بها إلىٰ ذكر الجنتين الدُّنْيَيَيْنِ

(٣٣) عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٤: ٦٩٦.

بعد تقديم العُلْيَيَيْنِ؛ لذلك كانت الزيادة المذكورة مؤخَّرةً في الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ -والمقصود بها رؤيةُ الله ﷻ- هي أغلىٰ تكريم لأهل الجنة(٣٤)، وهذا الملمح -من التدرّج- ما لم يتنبه إليه من استدلّ بهذه الآية الكريمة علىٰ صحة هذا المذهب غير السديد.

ويتسق مع ذلك أيضًا ما ورد في حديث آخر الناس خروجًا من النار: «... فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا...، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ...، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ. فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ...»(٣٥)، فمقام الترغيب -كما ترىٰ- يأخذ في الترقِّي، فأصناف النعيم من شجرة إلىٰ أفضل منها لا النزول إلىٰ أدنىٰ منها، والله ﷻ أعلم.

وإذا تقرَّرتْ تلك المسلَّمة -في المعلوم من الترغيب والإغراء بالضرورة- تَقرّر ضرورةً أفضليّةُ طبقةِ الجنَّتين الأولَيَيْن، وتأكَّد عُلُوُّ رُتْبَتِهما علىٰ الأخريين، وتَقرَّر -بناءً علىٰ ذلك- تَغايُرُ أهلِ الْجَنَّتَيْنِ الدنيين [الأخيرتين] عن أهل الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وأنهم ليسوا هم، وتَقرَّر أن أهل الْجِنَان الأربع فِئَتان أو صِنفان مختلفان كما ذهب أصحاب الرأي الأول، والله ﷻ أعلم.

---

(٣٤) روىٰ الإمام أحمد عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ»، قَالَ: «فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ»، قَالَ: «فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ». أحمد بن حنبل، «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، رقم ١٨٤٩١، مسند الكوفيين/ حديث صهيب بن سنان، ٣١: ٢٧٠.

(٣٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، «صحيح مسلم». تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، ١: ١٧٤، كِتَابُ الْإِيمَانِ ٨٣ - بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا برقم ٣١٠: ١٨٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

ومن المقرر شرعًا أن العبد الموحِّد لا يخلو من الجمع بين الخوف والرجاء، وإن كانت أحواله بينهما متفاوتةً بحسب ما يطرأ له وعليه من أحداث. يقول شارح العقيدة الطحاوية: «يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَائِفًا رَاجِيًا»[٣٦]، ويقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «اعْلَمْ أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلْعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ **خَائِفًا رَاجِيًا**، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَواءً، وفِي حَالِ المَرَضِ يُمَحَّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَىٰ ذلك»[٣٧]. ومن العلماء من يُوجب تساوِي «الخوف والرجاء» في نفس العبد، فقد جاء في «أحاديث القِصاص»: «لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَا»[٣٨]، والله ﷻ أعلم.

ويُفهَم من كلام القُشَيْرِيِّ أنَّ الخوف ألزمُ للعبد وأوجب من الرجاء - أي لا يجوز له أن يخلو من الخوف وإن جاز له أن يخلو من الرجاء؛ وقد أوجب ذلك ليواصل العبد العمل ولا يتَّكل - يقول: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون إلا خائفًا؛ لكيلا يَتَّكِل فيَقِلَّ عملُه الصالح، ألا ترىٰ النبي ﷺ قال لِعَلِيٍّ رحمةُ الله عليه في شَيْخَيْ الأمَّةِ -صِدِّيقِها وفارُوقِها رحمة الله عليهما-: **(هذان سَيِّدا كُهُول أهل الجنة من الأَوَّلِين والآخِرِين إلا النبيين، يا عليُّ، لا تُخْبِرْهُما)** إشفاقًا عليهما من أن يتَّكلا؛ فالخائف يَعمَلُ ما لا يَعمَلُهُ الراجي بلا خوف»[٣٩]، وقال الرازي: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ

---

(٣٦) صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، «شرح العقيدة الطحاوية». تحقيق شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١٠، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ٢: ٤٥٦.

(٣٧) أبو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، «رياض الصالحين». تعليق وتحقيق الدكتور ماهر ياسين الفحل، (ط١، دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ص: ١٥٧.

(٣٨) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، «أحاديث القصاص». تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص: ٦٨.

(٣٩) أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري، «أحكام القرآن». رواية: أبي بكر محمد بن عبد الله الأدفوي عنه، تحقيق سلمان الصمدي، (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، ٢: ١٦٧.

لَا يَنْفَكُّ قَلْبُهُ عَنِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ يَكْفِي فِي صِدْقِهِ حُصُولُ هَذَا الْخَوْفِ مَرَّةً وَاحِدَةً»(٤٠).

وإذا كان أمرُ العباد دائرًا بين «**الخوف**(٤١)، **والرجاء**»، وكان العلماء مجمعين علىٰ ترجيح أنْ يُغَلِّب العبدُ في حال عافيته ورخائه جانبَ الخوف علىٰ جانب الرجاء، وكانت أزمان العبد في حال الصحة والرخاء أضعاف أوقاته في حال المرض والشدّة – كما يقول الفضيل: «الخوفُ أفضلُ من الرَّجاء ما كان الرجُل صحيحًا، فإذا نزل الموتُ فالرجاءُ أفضلُ مِن الخوف. وهذا [ما] اختاره الغَزَالي في الإحْياء، علىٰ أنهم مُجْمِعُون علىٰ ترجيح جانب الخوف في حقِّ المُتَضَمِّخ بالآثام»(٤٢) – أقول: إذا كان الأمر كذلك فإنه يُمكن استنباطُ مَنْ يَكونُ أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيْنِ الذين لم يُذْكَروا في مطلع الحديث عن جنتيهم من يكونون؟ فإذا كان الأوَّلون ﴿مَنْ خَافَ﴾ فإن قَسِيمَهم – صنف الآخَرين – **مَنْ رَجَا**.

ولا ريب في أن كل المؤمنين **يخافون مقام ربهم** ﷻ، كما أن كل المؤمنين **يرجون رحمة ربهم** ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. غير أنَّ منهم مَنْ يَغلُب عليه الخوفُ، ومنهم مَن يغلب عليه الرجاء؛ لذلك يقول الإمام

---

(٤٠) أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، «مفاتيح الغيب – التفسير الكبير». (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٩: ١٤٧.

(٤١) قال الغزالي: «اسْمُ الرجاء إنما يصدق علىٰ انتظار مَحْبُوبٍ تَمَهَّدَتْ جَمِيعُ أَسْبَابِهِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا لَيْسَ يَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ، وَهُوَ فَضْلُ اللهِ تَعَالَىٰ بِصَرْفِ الْقَوَاطِعِ وَالْمُفْسِدَاتِ. وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾، معناه: أولئك يستحون أن يرجوا رحمة الله». أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، «إحياء علوم الدين». (د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ٤: ١٤٣.

(٤٢) محمد بن محمد العامري القرشي الغزِّيّ، «حسن التنبه لما ورد في التشبه». تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، (ط١، سوريا: دار النوادر، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م)، ٢: ٢٨٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

ابن عاشور أيضا: «وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (دُونَ) بِمَعْنَىٰ أَقَلَّ، أَيْ لِنُزُولِ الْمَرْتَبَةِ، أَيْ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ أقلّ من الْأَوَّلَيْن، فَيَقْتَضِي ذَلِك أَن هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ **لِطَائِفَةٍ أُخْرَىٰ مِمَّنْ خَافُوا مَقَامَ رَبِّهِمْ هُمْ أَقَلُّ مِنَ الْأَوَّلِينَ فِي دَرَجَةِ مَخَافَةِ اللهِ تَعَالَىٰ**»(٤٣).

وإذا استقام هذا الاستنباطُ تَقرّر -بقرينة تقديم ذِكر الجنتين الأوليين، وذكر صنف مستحقِّيها، وعدم ذكر صنف آخر للجنتين الأخريين، وبالقيد (من دونهما)، وبقرينةِ تَمايُز التفاصيل في أوصافِ صنوف النعيم في كلِّ طَبَقَة من طَبَقَتَيْ الجنان -كما سنرىٰ في الموازنات التالية إن شاء الله تعالىٰ- أقول: تَقَرَّر بكل ذلك أنَّ رُتْبة ﴿مَنْ خَافَ﴾ -أي: مَنْ غلبتْ عليه صفةُ **الخوف**- أعلىٰ مِن رُتْبَة «**مَن رَجا**» -أي: من غلبت عليه صفة **الرجاء**- وإن وجب علىٰ كل مَن يدخل أيًّا من تلك الجنان أن يكون خائفًا راجيًا، ويُقَوِّي ذلك اللَّمْحَ ما جاء عن الإمام أحمد رضي الله عنه، قال: «سُبْحَانَكَ مَا أَغْفَلَ هَذَا الْخَلْقَ عَمَّا أَمَامَهُمْ! **الْخَائِفُ مِنْهُمْ مُقَصِّرٌ، وَالرَّاجِي مُتَوَانٍ**»(٤٤). فصرّح بأن «**الْخَائِفُ**» منهما مهما اجتهد فهو «**مُقَصِّرٌ**»، وأن «**الرَّاجِي مُتَوَانٍ**»، أي: مُتَّكِل ضعيف العمل، والله تعالىٰ أعلم.

ومما يُقرِّر ذلك أيضًا أن أوقات مرض العبد -مِن رحمة الله تعالىٰ- بالقياس إلىٰ أزمان عافيته تُعدّ لحظاتٍ؛ لِذلك تكون أيام العبد مع تغليب الخوف أضعافَ أضعافِ أيامه مع تغليب الرجاء.

(٤٣) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٢.

(٤٤) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي، «الآداب الشرعية والمنح المرعية». (د.ط، عالم الكتب، د.ت)، ٢: ٣٠.

المُوازَنَةُ الثَّانِيَةُ

بين وَصْفَي الخُضرةِ في كلِّ طَبَقةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في وَصْف جَنَّتَي الطَبَقَة الأعْلَىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٤٦ - ٤٩].

ويقول الله ﷻ في وَصْف الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ دُونَهُمَا: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٦٢ - ٦٥].

جاء وصف الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ أي: «ذواتا ألوان، واحدها فَنٌّ»(٤٥)، أو: «ذواتا أطرافِ أغصانِ الشجر»(٤٦)، أو «ذَوَاتَا فَضْلٍ وَسعَةٍ عَمَّا سِوَاهُمَا»(٤٧)، أو «ذواتا أغصان يَتَماسُّ أطرافُ شجرها بعضُه بعضًا كالمعروشات»(٤٨)، أو «ذَوَاتَا ظِلٍّ وَأَغْصَانٍ»(٤٩).

قال ابن منظور: «الفُنُون تَكُونُ فِي الأَغصان، والأَغصان تَكُونُ فِي الشُّعَبِ، والشُّعَبُ تَكُونُ فِي السُّوق، وَتُسَمَّىٰ هَذِهِ الفُروعُ -يَعْنِي فروعَ الشَّجَرِ-: الشَّذَب، والشَّذَبُ العِيدانُ الَّتِي تَكُونُ فِي الفُنون»(٥٠)، فهي إذن جِنانٌ متكاثفة الظلال والخيرات بطريق اللزوم الكنائيّ؛ إذ طوىٰ النظم الكريم تلك الوسائطَ كلَّها قَفْزًا إلىٰ دليلها ﴿أَفۡنَانٖ﴾ مباشرة، والله تعالىٰ أعلم.

وَوُصِفَتْ الجنتان الأوليان بأنهما «ذواتا أغصان [أي] مورقة، وهذا يعنىٰ أن لأشجارها ظلًّا ممدودًا؛ فالظل نعيمٌ من نعيم الجنة، حيث يَطيب الهواء، ويعتدل

(٤٥) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٥٨. (٤٦) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٠.

(٤٧) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، «تفسير عبد الرزاق». دراسة وتحقيق د. محمود محمد عبده، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ٣: ٢٦٩.

(٤٨) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٢.

(٤٩) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١: ٢٥. (٥٠) ابن منظور، «لسان العرب»، (فنن)، ١٣: ٣٢٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الجوّ»[٥١]، فهو كذلك تعبير كنائي يسوق القضية ودليلها؛ فـ «عُنِي بذلك فضلُهُما وسَعَتُهُما علىٰ ما سواهما»[٥٢]، بينما وُصِفَتْ الجَنَّتَانِ الْأُخْرَيَانِ بأنهما «**مُدْهَامَّتَانِ**» مباشرة وبدون تفاصيل، أي: «خضراوان إلىٰ السواد من الرِّيِّ»[٥٣]؛ «لأن النظر في الخضرة يُجلي البصر»[٥٤]، فما جاء **وصفًا وحيدًا مباشِرًا ظاهرًا** لِلجنتين الأُخريين - الدُّنيَيْنَ - جاء وَصْفا **ضِمنيًّا إضافيًّا** لِلجنتين الْأُولَيَيْنِ، وهذا وَجْهُ تَمَايُز جَلِيّ بين طَبَقَتَيْ الْجِنَان، و﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ دليل الغناء، فهما «شديدتا الخضرة من كثرة الرِّيّ، حتىٰ أصبح لونُهُما يَميل إلىٰ الدُّهمة وهي السواد»[٥٥]، **وذلك وَجْهُ تَمَايُز**.

و«**قيل**: إن في وَصْفَ هاتين الْجَنَّتَيْنِ بما ذُكِر إشعارًا بأنَّ الغالب عليهما النباتُ والرياحين **المنبسطة علىٰ وجه الأرض**، كما أن في وصف السابقتين بـ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ إشعارا بأن الغالب عليهما **الأشجار** [أي المرتفعة إلىٰ جهة السماء]؛ فإن الأشجار توصف بأنها ذواتُ أفنان، والنبات يوصف بالخضرة الشديدة، فالاقتصار في كل منهما علىٰ أحد الأمرين مشعر بما ذُكِر. وبُنِيَ علىٰ هذا كَوْنُ **هاتين الْجَنَّتَيْنِ دُون الْأُولَيَيْنِ في المنزلة** والقَدْر، [و] كيف لا؟ والجنة الكثيرة الظِّلال والثِّمار أعلىٰ وأغلىٰ من الجنَّة القليلة الظلال والثمار»[٥٦]، **فذلك وَجْهُ تَمَايُز**.

---

(٥١) عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٤: ٩١.

(٥٢) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٠.

(٥٣) يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، «معاني القرآن». تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ٣: ١١٩. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾؟ فَقَالَ: «خَضْرَاوَانِ». سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، «المعجم الكبير». تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط١، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ٤: ١٨٠، برقم ٤٠٧٤.

(٥٤) نصر بن محمد السمرقندي، «بحر العلوم». (الشاملة ١٤٣١هـ)، ٣: ٣٨٨.

(٥٥) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مجموعة من العلماء، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». (ط١، مصر: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ٩: ٢٢٨.

(٥٦) شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني».

روىٰ ابن جرير عن «ابن زيد في قوله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: **جَنَّتَا السَّابِقِين**، فقرأ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، وقرأ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، ثم رجع إلىٰ **أصحاب اليمين**، فقال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، فذكر فضلهما وما فيهما، قال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾»[٥٧]. وهذا مما يقرر **تمايُزَهما** لِتمايُزِ أهليهما، والله تعالىٰ أعلم.

فأمثل ما قِيل في أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ -إذن- هو أن يكونوا أصحاب اليمين؛ أو أن يكونوا أهل الرجاء؛ إذ المنطق يقضي بأنه لو كان المقصود بالجنتين الدُّنْيَيَيْنِ أيضًا ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ لَترَقَّىٰ الذِّكر الكريم إلىٰ ذِكر جنتين أعلىٰ من الجنتين الْأُولَيَيْنِ وأفضل من حيث أصناف النعيم وأوصافه، لا أنْ يَنزل إلىٰ ذِكر جنانٍ أدنىٰ -كما سبق القول في الموازنة السابقة-؛ وعليه جاء القولُ بِأَنَّ معنىٰ ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: «أقلّ مِن الْجَنَّتَيْنِ السابقتين جَنَّتَانِ لِصِنفٍ آخرَ مِن ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾»[٥٨]، أي لطبقة هي أدنىٰ في الخوف، وهؤلاء هم أهل الرجاء، والله تعالىٰ أعلم.

علىٰ أنه لا يعني دُنُوُّ رُتبة الجنتين الأُخْرَيَيْنِ ضعفَ نعيمهما فقد «وُصِفَ مَا فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ [الْأُخْرَيَيْنِ] بِمَا يُقَارِبُ مَا وُصِفَ بِهِ مَا فِي الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَصْفًا سَلَكَ فِيهِ مَسْلَكَ الْإِطْنَابِ أَيْضًا لِبَيَانِ حُسْنِهِمَا تَرْغِيبًا فِي السَّعْيِ لِنَيْلِهِمَا بِتَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَذَلِكَ مُوجَبُ تَكْرِيرِ بَعْضِ الْأَوْصَافِ، أَو مَا يقرب مِنَ التَّكْرِيرِ بِالْمُتَرَادِفَاتِ»[٥٩]، بل إنَّ «ما فيهما من النعيم ممّا لا يُحيط به وصفٌ، وإنَّ القَطْرة منه لَتُوازِيٰ ما عَرف الناسُ جميعًا مِن نعيم الدنيا»[٦٠].

= تحقيق علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١٤: ١٢٠.

(٥٧) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧١.

(٥٨) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، ٩: ١٢٢٨.

(٥٩) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٢.

(٦٠) عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٤: ٦٩٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الْمُوَازَنَةُ الثَّالِثَةُ

بين أَوْصَافِ العَيْنِ فِي كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في وَصْف جَنَّتَي الطَبَقَة العُليا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠ - ٥١].

ويقول الله ﷻ في وَصْف الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ دُونَهُمَا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٦٦ - ٦٧].

تتفق الآيتان الكريمتان في البناء علىٰ تقديم المتعلِّق (الجار والمجرور): ﴿فِيهِمَا﴾؛ وذلك لتقرير نسبة الظرفية إلىٰ الجنان جميعًا، وتطمين المؤمن الموعود بتلك الجنان أن كل جنة منها تشتمل علىٰ عينٍ جارية كانت أو نضّاخة.

وجاء المسند إليه ﴿عَيْنَانِ﴾ نكرةً فأفاد التفخيم والتعظيم، تفخيمَ سعتها وعظَمته، وتفخيم ما يجري فيهما من أنواع الجاريات المحبوبة لنفوس الناس وطباعهم وعظمته. وعلىٰ ذلك تَحقَّق الخيال البديع بإسناد «**الجريان**» و«**النضخ**» إلىٰ عيون الجنان أنفُسها مجازًا عقليًّا؛ فالعيون لا «تجري» ولا «تنضخ» حقيقةً، وإنما يجري وينضخ ما فيهما من سائل -ماء كان، أو عسلًا، أو غيرهما-، فزُحْزِح إسناد «**الجريان**» و«**النضخ**» إلىٰ المكان، والمقصود إسنادهما إلىٰ المكين؛ والعلاقة المُسَوِّغة لهذا الإسناد هي المكانية -علىٰ حَذْوِ قولهم: سار بهم الطريقُ-، وذلك الإسناد يُقِيم في النفس خيالًا طريفًا يتآزر مع حركة «**الجريان**» و«**النضخ**» المُثْبَتَيْن للعيون، وكأن شُطْآنها «**تجري**» بما فيها و«**تنضخ**»، ويأتي ذلك كلُّه كناية عن غزارة الخير في الجنتين، ووفْرة النعيم الذي يظفر به أهل الجنان. نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا منهم.

ومما بلغ بذلك التصوير الطرافةَ الأخَّاذةَ حَذْفُ ما يجري وما ينضخ حقيقةً، فلم يُذكر نوع «الجاري» ولا نوع «الناضِخ» أماءٌ هو أم غيرُه؟ من لبن أو خمر أو عسل - مما جاء صريحًا في قول الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]. وهذا الحذف ما حدا ببعض المفسِّرين إلىٰ أن يصرِّح بأن «إحداهما من ماء غير آسن، والأخرىٰ من خَمْرٍ لذة للشاربين، وقيل: إنهما تجريان من جبل من مسك»(٦١).

وقيل بأنهما «عينا ماء»(٦٢) في كل جَنَّتَيْنِ، وقيل: «تَثْنِيَةُ ﴿عَيْنانِ﴾ جَارٍ عَلَىٰ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي تَثْنِيَةِ ﴿جَنَّتَانِ﴾»(٦٣)، و«يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: **جِنْسَيْنِ مِنَ الْجَنَّاتِ**. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّثْنِيَةُ مُسْتَعْمَلَةً كِنَايَةً عَنِ **التَّعَدُّدِ**»(٦٤)، و«إِنْ كَانَ الْـ ﴿جَنَّتَانِ﴾ اثْنَتَيْنِ لِكُلِّ ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ فَلِكُلِّ جَنَّةٍ مِنْهُمَا عَيْنٌ، فَهُمَا عَيْنَانِ لِكُلِّ ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، وَإِن كَانَ الْـ ﴿جَنَّتَانِ﴾ جِنْسَيْنِ فَالتَّثْنِيَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي إِرَادَةِ الْجَمْعِ، أَيْ: عُيُونٍ عَلَىٰ عَدَدِ الْجَنَّاتِ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْ تَثْنِيَةِ ﴿جَنَّتَانِ﴾ الْكَثْرَةَ كَمَا [أن] تَثْنِيَةَ عَيْنانِ لِلْكَثْرَةِ»(٦٥).

ويجوز أن تكون «العَيْنُ عَيْن الْمَاءِ. والعَيْنُ: التي يخرج منها الْمَاءُ، والعَيْنُ: يَنْبُوع الْمَاءِ الَّذِي يَنْبُع مِنَ الأَرض وَيَجْرِي، أُنْثىٰ(٦٦)، وَالْجَمْعُ: أَعْيُنٌ وعُيُونٌ»(٦٧)،

---

(٦١) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٢٥: ٣٥٥.

(٦٢) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٠. (٦٣) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٦.

(٦٤) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٥، ٢٦٤.

(٦٥) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٦.

(٦٦) أي أن «العين» مؤنثة، وأن لفظ «العين» مؤنّث.

(٦٧) ابن منظور، «لسان العرب»، (عين)، ١٣: ٣٠٣.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

فهما ﴿عَيْنَانِ﴾ «تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان، فتثمر من جميع الألوان»[٦٨]، أو هما «نهران يجريان»[٦٩]، وقيل: «تجريان بالماء الزلال، إحدىٰ العينين: التسنيم، والأخرىٰ السلسبيل، وقيل. إحداهما من ماء غير آسن، والأخرىٰ من خمر لذة للشاربين، وقيل: إنهما تجريان من جبلٍ من مسك»[٧٠].

ووُصِفَتْ عَيْنا جَنَّتَيْ ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أوَّلًا بِجُملة ﴿تَجْرِيَانِ﴾، بينما وُصِفتْ عَيْنا الْجَنَّتَيْنِ اللتيْن دُونَهما ثانيًا بِأنهما ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: «مملوءتان من كل خير لا ينتقصان»[٧١]. فبينهما -كما ترىٰ- **وُجُوهُ اتِّفاقٍ ووُجُوهُ تمايُز**، تتجلىٰ من خلال الموازنة بين وصف «العَيْنَيْنِ»[٧٢] من جهتين: جهة مادتهما اللغوية، وجهة صيغتهما التصريفية علىٰ التفصيل التالي:

أوَّلا: من جهة المادة اللغوية:

جاءت مادَّةُ وصْفِ عَيْني الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ «ج.ر.ىٰ»، بينما جاءت مادة وصفِ عيني الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ «ن.ض.خ»، فهما -كما ترىٰ- مختلفتان لفظًا ومعنىٰ -يأتي قريبًا إن شاء الله تعالىٰ-، وعليه فإنَّ لكلٍّ دلالاتِها وإشاراتها الخاصّة، وهذا **وجهُ تَمَايُز**.

عل أنّ كلّ مادَّةٍ منهما مُصَوِّرَةٌ بطبعها اللغويِّ المُجَرَّد - وهذا **وجه اتفاق**، وكلاهما صورتان لِحركتين تموران بالحياة وتأسِران النفوس وتأخذان بالألباب - وهذا **وجهُ اتِّفاقٍ** آخر، ولكلٍّ منهما هيئة حركة مختلفة عن هيئة الأخرىٰ - وهذا **وجه تمايز**.

وكلتاهما تَدُلُّ علىٰ تَجَدُّدِ السائل الذي فيها، فالعينان الجاريتان يتجدَّدُ ماؤهما

(٦٨) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير»، ٢٧: ٢٢٤.
(٦٩) النحاس، «إعراب القرآن»، ٤: ٢١١.
(٧٠) الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، ٢٥: ٣٥٥.
(٧١) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٤.
(٧٢) قال الماتريدي: «إحدىٰ العينين هي العين المعروفة الموعودة، والأخرىٰ التي لا يعرفون ولا يوعدون». أبو منصور الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٩: ٤٨٠.

باستمرار، والعينان النضاختان «فَوَّارتان»[٧٣]، «تنضخان بالماء»[٧٤]، أو «ممتلئتان لا تنقطعان»[٧٥] يتجدّد ماؤهما باستمرار[٧٦]، وفي «**النَّضْخ**» وشدّة الفوران كناية عن الحيوية والتجدد، و«عَيْنٌ نَضَّاخَةٌ: كَثِيرَةُ الْمَاءِ»[٧٧]، وفي التهذيب -عن الزَّجَّاج-: «أَنَّهُمَا تَنْضَخَانِ بِكُل خير»[٧٨]، وعن «ابن عباس والضحاك: **ينضخان بالخير والبركة** علىٰ أهل الجنة. وقال ابن مسعود: **ينضخان بالمسك والكافور** علىٰ أولياء الله ﷻ، وقال أنس بن مالك: ينضخان **بالمسك والعنبر** في دُور أهل الجنة كَطَشِّ المطر»[٧٩].

وفي «**الجَرْي**» كنايةٌ عن سعة المضمار وتباعد النهايات، وترامیها إلىٰ غير حدود معلومة، وعن الغزارة، وكثرة الخير؛ فقد جاء أيضًا في الذِّكر الحكيم وفي السنَّة الشريفة دليل سَعة الجِنان طُولًا وعرضًا صريحًا، ما قال ﷻ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال رسول الله ﷺ «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ، مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**»[٨٠].

وفي «**الجَرَيَانُ**» صورة التَّحَدُّر، والسَّيَلان من مكان إلىٰ آخر في حركة أُفُقِيَّة سريعة، بينما «**النضخ**» فيه الفَوَرَان والتَّقَلُّب في حركةٍ رأسيّة طاغيةٍ. فـ «النَّضخ: شدَّة فَوْر المَاء فِي جَيشانه وانفجاره من يَنْبوعه. [و] مَا كَانَ من سُفْلٍ إِلَىٰ عُلْو فَهُوَ نَضْخ.

---

(٧٣) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، «تهذيب اللغة». تحقيق محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، (فور)، ٧: ٥٣.

(٧٤) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٢. (٧٥) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٢.

(٧٦) فوران الماء وتقلُّبُه يُجَدِّد الماءَ؛ ولذلك يستخدم أصحاب المزارع السمكية في زماننا مضخَّاتٍ تُقَلِّب الماءَ في أحواض الأسماك؛ ليتجدّد الأكسجين في الماء وتتنفس الأسماك.

(٧٧) ابن منظور، «لسان العرب»، (نضخ)، ٣: ٦٢.

(٧٨) الأزهري، «تهذيب اللغة»، (فور)، ٧: ٥٣.

(٧٩) علاء الدين علي بن محمد الخازن، «لباب التأويل في معاني التنزيل»، تحقيق محمد علي شاهين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٤: ٢٣٢.

(٨٠) مسلم بن الحجاج، «صحيح مسلم»، ٤: ٢١٧٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

وَعين نَضَّاخة: تجيش بِمَائِهَا»[٨١]، وفي «**النضخ**» إشارة دقيقة إلىٰ أنه يفوح بالرائحة الزكيّة، يقول الخليل: «والنَّضْخُ -كاللَّطْخ- مما يبقىٰ له أثر: نَفْخُ ثوبِه بِالطِّيب»[٨٢]، بل جاء أنهما: «تنضخان الماء والفاكهة. ونضاختان بألوان الفاكهة»[٨٣]، ولا يُفْهَمُ نفخ الطِّيب من وصف الجريان.

ولا ينبغي أن ننسىٰ أن القرآن الكريم نزل -أوَّلَ ما نزل- في بلاد العَرَب، وكانت بلادًا جافَّةً قاحِلةً، تفتقر إلىٰ جريان الماء وفَوَرَانِه كليهما -غالبًا-؛ «والظلّ والماء مطلوبان للعرب»[٨٤]؛ ولذلك كانوا أهل حِلٍّ وترحال؛ يَتَتَبَّعون مساقط القَطْر واخضرار الأرض وتوفُّرِ أسباب الحياة. فتصوير عُيون الْجِنَان كما ورد في (سورة الرحمن) سيخلُب ألبابهم، ويستثير شوقهم إلىٰ جِنان دار البقاء؛ فيعتنقون هذا الدين الحقّ، ويسعون إلىٰ الظفر بهذا الجزاء العظيم. ثم يَظلُّ هذا التصويرُ حَيًّا يَخْلِب[٨٥] كُلَّ لُبٍّ ويَستهوِي كلَّ نَفْسٍ مِن عَرَبٍ وعَجَم إلىٰ يوم الدين.

والواقع -في حياتنا الدنيا هنا- يؤكِّد أنَّ لِكلِّ حركةٍ من هاتين الحَرَكَتَيْنِ (الجريان والتَّقَلُّب) جمالَها الخاصَّ، وأن طبائع النفوس البشرية في التَّلَذُّذ بهذا المنظر أو ذاك يَختلف من إنسان إلىٰ آخر. فقد يَرُوق بعضَهم تَحَدُّرُ الماء وجريانُه أكثرَ مِما يروقه تَقَلُّبُه وفَوَرَانُه، بينما يَرُوق بعضَهم الآخرَ تَقَلُّبُ الماء وفَوَرَانُه أكثرَ مِما يروقه تَحَدُّرُه وسيلانُه، ولا ريب أن كلًّا مهيَّأ متاح لمن يرغبه، وأن لكل مؤمن ما تميل إليه نفسه

---

(٨١) علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده، «المحكم والمحيط الأعظم». تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، (نضخ)، ٥: ٤٣.

(٨٢) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، «كتاب العين». تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، (د.ط، دار ومكتبة الهلال، الشاملة ١٤٣١هـ)، باب الخاء والضاد والنون معهما خ ض ن، ن ض خ مستعملان فقط، ٤: ١٧٧.

(٨٣) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٢.

(٨٤) الخطيب الإسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، ١: ١٢٠٥.

(٨٥) يَخْلب، بِضم اللام وكسرها: يَخْلُب، ويَخْلِب. انظر: ابن منظور، «لسان العرب»، (خلب).

وتهواه؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

ثانيًا: من جهة الصيغة الصرفية:

حيث صِيغَتْ المادَّةُ الأُوْلَىٰ «فِعْلًا» مضارعًا: «تَجْرِي» فعكست حركة الجَرْي المتجدّد الذي لا يتوقف، بينما صِيغَتْ المادَّة الثانية «اسمًا» علىٰ زِنَةِ المبالغة: «نَضَّاخَة» لتعطي معنىٰ الديمومة والثَّبات.

قال في اللسان: «الْعَيْنَ النَّضَّاخة هِيَ الفَعَّالة»(٨٦)؛ فقد مُيِّزَت كلٌّ دَرَجَةٍ منهما **بِمَيْزة** غير الأخرىٰ. حيث مُيِّزَتْ الأُولَيان بِتَجَدُّد التَّدَفُّق واستمرار السيلان، ومُيِّزَت الْأُخْرَيَانِ بِدَيْمُومَة التَّقَلُّب وطُغْيان الفَوَرَانِ. وقيل إن «الجريان أتمُّ فِي الْمُبَالغَة من السيلان»(٨٧) الذي هو أيضًا حركة تَحَدُّرٍ؛ وذلك يتسق مع درجة ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، وهم كما سبق بيانُه الأعلىٰ درجة، وفي تفسير ابن كثير «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَيْ فَيَّاضَتَانِ، وَالْجَرْيُ أَقْوَىٰ مِنَ النَّضْخِ»(٨٨).

وبهذه الموازنة المتواضعة بين إشارات المادة اللغوية وإشارات الصيغة الصرفية بين عيني الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَيْن وعيني الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ – تَتجلَّىٰ براعة النظم الكريم في تقريره أنّ الجزاء من جنس العمل لأصحاب كل درجة من دَرَجَتَي الْجِنَان في (سورة الرحمن)؛ اتساقًا مع ما تَوَسَّطَ أوصاف جِنان (سورة الرحمن) ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، كما تتجلىٰ براعته في الوقت ذاته بِمَنْح أهل كلِّ درجة منهما خصائص تَتَمَيَّز بها عينا جَنَّتَيْهِم؛ لدرجة أن المسلم يتطلّع إلىٰ الظَّفَرِ بِكلٍّ منهما، وفي الوقت ذاتِه كذلك يُبين الذِّكْر الحَكِيم عن عُلُوِّ رُتْبَةِ أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، ويحتفظ لهم بتميُّز رُتبتهم العليا، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

---

(٨٦) ابن منظور، «لسان العرب»، (نضخ)، ٢: ٦١٨.

(٨٧) أبو البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية». تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ)، ص: ٣٥٤.

(٨٨) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٧: ٤٦٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الْمُوَازَنَةُ الرَّبِعَةُ

بَيْنَ أَوْصَافِ الفَوَاكِهِ فِي كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في وَصْف جَنَّتَي الطَبَقَة الأعلىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٥٢ - ٥٣].

ويقول الله ﷻ في وَصْف الْجَنَّتَيْنِ اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٦٨ - ٦٩].

لا يزال النظم الكريم يَبني ذِكر أنواع النعيم علىٰ تقديم الظرفية (فِيهِمَا) أي في كل جنتين، فيقرر وجود هذا الصنف من النعيم في الجنتين، وأنهما تشتملان عليه قطعًا. ولا يُفهَم من هذا التقديم التخصيصُ والقصرُ؛ لأنه ذَكر في الجنتين الدُّنْيِيين نوعين من الفاكهة لا يُعقل أن تخلو منهما الجنتان العُلْيَيان هما النخل والرمان، وإذنْ فالتقديمُ لِتقرير تحقُّق وجودِهما داخل حَيِّز الجنان؛ كنايةً عن تَمَلُّك أهل الجنان هذه الأصناف من الفاكهة.

ومن التكريم أن يكون لأهل كلِّ جَنَّتَيْنِ ﴿فَاكِهَة﴾ كثيرة ومنوَّعة؛ لِيَتفكَّهوا بها في جنان الخُلد، لكن جُعل بَيْنَ أوصاف تلك الـ ﴿فَاكِهَة﴾ وأنواعها تمايُز جليّ لا يُخطئ الناظرَ، فجُعل لأصحابَ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، أي: «من كل لون من ألوان الفاكهة صنفان»(٨٩)، أو «ضربان»(٩٠)، «وَكِلَاهُمَا حُلْوٌ يُسْتَلَذُّ بِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا فِي الدُّنْيَا شَجَرَةٌ حُلْوَةٌ وَلَا مُرَّةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّىٰ الْحَنْظَلُ إِلَّا أَنَّهُ حُلْوٌ»(٩١).

(٨٩) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٣.
(٩٠) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦١.
(٩١) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٧٩.

ووُعد أصحاب الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، والفاكهة هنا كثيرة وبالغة اللذة والمتاع عظيمة -بإشارة تنكيرها- غير أن تنوّع الـ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ في الجنتين الْأُولَيَيْنِ غيرُ مُتَنَاهٍ؛ حيث إنه ورد بلفظ العموم ﴿كُلِّ﴾، وهو لفظ الاستغراق، أي ما يَعرفه أهل الدنيا من أنواع الفاكهة، وما لا يعرفه منهم أحد مما يكون في جنان الخُلد إن شاء الله ﷻ ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾. أما تنوُّعُ الـ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ في الجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ فَمَحْدود بِحُدود النَّكِرة التي لا يُستفاد منها الاستغراق المقطوع به لـ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بموجِب لفظ الشمول ﴿كُلِّ﴾.

وفي الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِن كل نَوْع من أنواع الفاكهة -المستغرِقَة جميعَ الأنواع- ﴿زَوْجَانِ﴾. قال ابن كثير: «وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأُولَىٰ أَعَمُّ وَأَكْثَرُ فِي الْأَفْرَادِ وَالتَّنْوِيعِ عَلَىٰ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ [الثانية] وَهِيَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ [فـ] لَا تَعُمُّ»(٩٢) وهذا يعني أنها ﴿فَاكِهَةٍ﴾ من زوجٍ واحد لا زَوْجَيْن، إضافةً إلىٰ عدم استغراقها جميع أنواع الـ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ كما في الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ.

وبينما يَنُصُّ الذِّكْر الحَكِيم ويعطف علىٰ ﴿فَاكِهَةٍ﴾ الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ نوعين مَخْصُوصَيْن -وهما ﴿نَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾- من باب ذِكر الخاص بعد العام لمزية في الخاصّ المذكور - يسكت الذِّكْر الحَكِيم عن تخصيص أنواعٍ بِعينها من ﴿فَاكِهَةٍ﴾ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ إشعارًا بتوازي أنواعها في اللذة والإمتاع، والله تعالىٰ أعلم.

ويأتي تنكير (فاكهة، زوجان، نخل، رُمّان) تفخيمًا لها وتعظيمًا لشأنها، وإيحاء بأنها أنواع متميزة لا عهد لأهل الجنان بها طعمًا ولذة، وإن عهدوها شكلًا ومثالًا؛ اتساقًا مع قول الله تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥].

واختص النخل والرُّمان بالذكر «لِأَنَّ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ كَانَا عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

(٩٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٧: ٥٠٧.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

بِمَنْزِلَةِ الْبُرِّ [القمح] عِنْدَنَا؛ لِأَنَّ النَّخْلَ عَامَّةُ قُوتِهِمْ، وَالرُّمَّانَ كَالثِّمَرَاتِ، فَكَانَ يَكْثُرُ غَرْسُهُمَا عِنْدَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمَا. [و] لِعُمُومِهِمَا وَكَثْرَتِهِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ إِلَىٰ مَا وَالَاهَا مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ»[٩٣]، و«بيانًا لفضلهما، كأنهما لِمَا لهما مِن المَزِيَّة جِنسان آخران»[٩٤]، وقيل: «أعيد النخل والرمان ترغيبًا لأهل الجنة»[٩٥]، أو «لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة»[٩٦]. والله تعالىٰ أعلم.

وبرغم تَمْيِيز ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ كلِّ جَنَّتَيْنِ بمزايا تَخُصُّهُما، وبرغم تَمَيِيز الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بِالنص علىٰ نوعين مخصوصين من الـ ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ -ذِكْرًا لخاصٍّ بعد عامٍّ لأهميّته- برغم هذا وذاك تَبْقَىٰ الْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ أعلىٰ رُتبةً من الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بِقَيْدِ لفظِ العموم والشمول ﴿كُلِّ﴾، وبِالنَّصِّ علىٰ أن فيهما من هذا الـ ﴿كُلِّ﴾ ﴿زَوْجَانِ﴾ لا زوجًا واحدًا - كما يُفْهَمُ مِن ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ.

ثم أَنْعِمْ النَّظَرَ في هذا التوازي والتوازُن الماثلين بين آيتي الـ ﴿فَٰكِهَةٌ﴾: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

تأمّل بِمَ تَحَقَّق التوازن؟ تجدْه تَحقَّق بِتَخْصِيص كلِّ جَنَّتَيْنِ بِخصائص غيرِ مَوْجودة في الأُخْرَىٰ -وهي ما سبق ذِكْرُه **وُجوهَ تَمَايُزٍ** بينهما. فَذكَر في الأُولىٰ العمومَ: ﴿مِن كُلِّ﴾، وذَكَر في الثانية النوعين المخصوصين: «**نَخْلٌ ورُمَّانٌ**»[٩٧]- وفي الْأُولَيَيْنِ لِكُلِّ فاكهة ﴿زَوْجَانِ﴾ ولم يَذكر له مقابلًا في الْأُخْرَيَيْنِ؛ ويبقىٰ ما سوىٰ ذلك مُكَرَّرًا بِنَصِّه في الآيتين الكريمتين: «فِيهِمَا، فَٰكِهَةٌ»؛ **فحصل بينهما التوازُن والتَمَايُزُ دَفْعَةً**.

(٩٣) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨٦.
(٩٤) الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، ٤: ٤٥٣.
(٩٥) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١١٩. (٩٦) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٣.
(٩٧)«عن سعيد بن جُبير قال: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضًا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلىٰ من العسل، ليس له عَجَم» الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٤.

ويَخْتِم الذِّكْر الحَكِيم وصف كل نعيم في كل جَنَّتَيْنِ بالاستفهام التقريري بالنفي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ليكون الجواب قطعًا: لا بشيء من آلائك ربنا نُكَذِّب، وفي ذلك السؤال هنا تنبيه إلىٰ جدارة الوقوف إزاء تلك النِّعْمَةِ -نعمةِ الـ ﴿فَاكِهَة﴾- بالتفكُّر والتدبُّر، والإيحاء بأنها نعمة لا يصحّ المرور بها مرورًا سَاذَجًا ساهيًا، وكذا كل نعمة.

ويُلْحَظ أنَّ النظم الكريم قد آثر صيغة المفرد ﴿فَاكِهَة﴾ دون «فواكه» التي وردت في مواضع أُخَرَ من الذِّكْر الحَكِيم؛ ولأنه استعاض هنا بلفظ العموم ﴿كُلّ﴾ عن صيغة الجمع هناك، والله ﷻ أعلم.

وقد لمح صاحب التحرير والتنوير في تفسير الزوجين من الفواكه لمحًا آخر يجعل التمايُز بين دَرَجَتَي فواكه الجنان كبيرًا، قال: «أَنْوَاعُ فَوَاكِهِ الْجَنَّةِ **كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ لِكُلِّ فَاكِهَةٍ نَوْعَانِ** [فقط]. فَإِمَّا أَنْ نَجْعَلَ التَّثْنِيَةَ **بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ** وَنَجْعَلَ إِيثَارَ صِيغَةِ **التَّثْنِيَةِ لِمُرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ** وَلِأَجْلِ الْمُزَاوَجَةِ مَعَ نَظَائِرِهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إِلَىٰ هُنَا.

وَإِمَّا أَنْ نَجْعَلَ تَثْنِيَةَ ﴿زَوْجَانِ﴾ لِكَوْنِ الْفَوَاكِهِ بَعْضُهَا يُؤْكَلُ رَطْبًا وَبَعْضُهَا يُؤْكَلُ يَابِسًا مِثْلَ الرُّطَبِ وَالتَّمْرِ»[(٩٨)]. وإذن فأنواع فواكه الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ لا تقف عن حد النوعين، بل تتخطاهما إلىٰ أنواع كثيرة لا يعلم عددها إلا الله ﷻ، وهذا ما يميزهما عن ﴿فَاكِهَة﴾ الْجَنَّتَيْنِ الدُّنيَيَيْنِ؛ لذلك صار **التمايز بينهما كبيرًا**، والله ﷻ أعلم.

(٩٨) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الْمُوَازَنَةُ الْخَامِسَةُ

بَيْنَ أَوْصَافِ فُرُشِ الْمُتَّكَإِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في وَصْف جَنَّتَي الطَبَقَة الأعلىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٥٤ - ٥٥].

ويقول الله ﷻ في وَصْف الْجَنَّتَيْنِ اللتين دونهما: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٧٦ - ٧٧].

واضحٌ أنّ (سورة الرحمن) لا تَنْقُل أيَّ هيئةٍ لأصحابِ جِنانِها سوىٰ هيئةٍ واحدة هي «**الاتِّكَاء**»، وتَنُصُّ علىٰ أن ذلك «**الاتِّكَاء**» هيئةُ أصحابِ الدَّرَجَتَيْنِ جميعًا - أعني دَرَجَتَي جنان السورة الكريمة، **وهذا وجه اتفاق**. و«**الاتِّكَاء**» في كل طَبَقَة من طبقات تلك الْجِنَان علىٰ فُرُشٍ ناعمة، **وهذا وجه اتفاق**.

و«**الاتِّكَاء**» كلمة مُصَوِّرَةٌ -بمادتها اللغوية المجرَّدة- لِمَظْهَرِ نعيمٍ؛ إذ يَدُلّ «**الاتِّكَاء**» علىٰ «فراغ البال، وهدوء النفس»[٩٩]، و«صِحَّةِ الْجِسْمِ، وَفَرَاغِ الْقَلْبِ»[١٠٠]، و«هَيْئَةٌ بَيْنَ الْاضْطِجَاعِ عَلَىٰ الْجَنْبِ وَالْقُعُود»[١٠١]، وهو «جِلْسَةُ أَهْلِ التَّرَفِ الْمَخْدُومِينَ؛ لِأَنَّهَا جِلْسَةُ رَاحَةٍ، وَعَدَمِ احْتِيَاجٍ إِلَىٰ النُّهُوضِ لِلتَّنَاوُلِ ونَحْوِه»[١٠٢]. «وَلَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا إِلَّا عَزِيزٌ مُتَفَكِّهٌ، لَيْسَ عِنْدَهُ جُوعٌ يُقْعِدُهُ لِلْأَكْلِ، وَلَا هُنَالِكَ مَنْ

(٩٩) محمد محمود حجازي، «التفسير الواضح». (ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣هـ)، ٣: ٥٨٨.

(١٠٠) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٧٣. (١٠١) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٧.

(١٠٢) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٨.

يَحْسِمُهُ، فَالتَّفَكُّهُ مُنَاسِبٌ لِلِاتِّكَاءِ»(١٠٣). ودلالة الاتكاء على تلك المعاني كناية عن استقرار الحال وراحة البال، وتمام الأمن والأمان.

و«**الاتِّكَاء**» في الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَينِ حالٌ مِن ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ صراحةً، وذُكر عَقِبَ ذِكْر فواكه الجنة المُنَوَّعة، أما في الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ فقد أتى حالًا مِمَّنْ لَم يُذكروا صراحة -وهم مَنْ سَبَقَ تَرَجُّحُ كَوْنِهِمْ «**مَنْ رَجَوْا**»-، وتأخَّر ذِكْرُه فيهما إلى ما بَعْدَ ذِكْر الـ ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، وذِكْر صِفَاتِهِنَّ، ويرى ابن عاشور أن ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ الأخرى «**كُرِّرَتْ** بِدُونَ عَطْفٍ؛ لِأَنَّهَا فِي مَقَامِ تَعْدَادِ النِّعَمِ، وَهُوَ مَقَامٌ يَقْتَضِي التَّكْرِيرَ اسْتِئْنَافًا»(١٠٤).

وتَنُصُّ السورة الكريمة على مُتَّكَآتٍ مَخصوصةٍ -هي ﴿فُرُشٍ﴾- لأصحاب كلِّ درجة من دَرَجَتَيْ جنانها؛ وفي هذه الـ ﴿فُرُشٍ﴾ **تتجلَّى بعضُ الفوارق** التي تُقرِّر تَمَايُزَ كلِّ جنتين عن الأخريين من مزايا -وإن كان فيهما من تلك المزايا الغالبة على الْجَنَّتَيْنِ الأُخريين- على الوجه المبيَّن بعد إن شاء الله تعالى.

والـ «﴿فُرُشٍ﴾: جَمْعُ فِرَاشٍ - كَكِتَابٍ وَكُتُبٍ. **وَالْفِرَاشُ** أَصْلُهُ مَا يُفْرَشُ، أَيْ يُبْسَطُ عَلَى الْأَرْضِ لِلنَّوْمِ وَالِاضْطِجَاعِ، ثُمَّ أُطْلِقَ الْفِرَاشُ عَلَى **السَّرِيرِ** الْمُرْتَفِعِ عَلَى الْأَرْضِ بِسُوقٍ؛ لِأَنَّهُ يُوضَعُ عَلَيْهِ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُفْرَشَ عَلَى الْأَرْضِ، تَسْمِيَةً بِاسْمِ مَا جُعِلَ فِيهِ»(١٠٥).

وفي الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ توصف **بطائن الفُرُش**، وتُجمَع ﴿بَطَآئِنُ﴾ لِتمنح أهل جنتي تلك الدرجة العُليا تنوُّعًا غيرَ محدود من الـ ﴿فُرُشٍ﴾ **والمتَّكَآت**، ومعناها: «**البطائن** مِن إستبرق. فما الظواهر؟ هذا مما قال الله ﷻ فيه ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»(١٠٦)، وفي الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ تأتي الـ ﴿فُرُشٍ﴾ بصيغة الإفراد:

---

(١٠٣) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٧٣. (١٠٤) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٤.

(١٠٥) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٧.

(١٠٦) أحمد بن مصطفى المراغي، «تفسير المراغي». (ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، ٢٧: ١٢٥.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

﴿رَفْرَفٍ﴾. ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ - **وهذا وجه تمايُز**.

وَ«الْبَطَائِنُ: جَمْعُ بِطَانَةٍ -بِكَسْرِ الْبَاءِ- وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْبَطْنِ -ضِدِّ الظَّهْرِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ-، وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ عَنِ الْأَسْفَلِ. فَبِطَانَةُ الثَّوْبِ دَاخِلُهُ وَمَا لَا يَبْدُو مِنْهُ، وَضِدُّ الْبِطَانَةِ الظِّهَارَةُ -بِكَسْرِ الظَّاءِ-...، [و] **الْبِطَانَةُ** هِيَ الثَّوْبُ الَّذِي يُجْعَلُ عَلَى الْفِرَاشِ وَالظِّهَارَةُ: الثَّوْبُ الَّذِي يُجْعَلُ فَوْقَ الْبِطَانَةِ لِيَظْهَرَ لِرُؤْيَةِ الدَّاخِلِ لِلْبَيْتِ، فَتَكُونُ **الظِّهَارَةُ أَحْسَنُ مِنَ الْبِطَانَةِ** فِي الْفِرَاشِ الْوَاحِدِ»(١٠٧).

وفي الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَيْنِ توصف بطائن الـ ﴿فُرُشٍ﴾ كناية عن روعة ظواهرها بطريق اللزوم، فعن ابن مسعود ﷺ: «قَدْ أُخْبِرْتُمْ بِالبَطَائِنِ، فكيف لو أُخْبِرْتُمْ بِالظواهر؟»(١٠٨). وفي الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ تُوصَف الـ **فُرُش** وصفًا عامًا لا بطائنها ولا ظواهرها، **وهذا وجه تمايز**.

فإذا كانت «بَطَائِنَ فُرُشِ الْجَنَّةِ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ؛ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ ظَهَائِرِهَا؛ فَإِنَّهَا أَجْوَدُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا ثوبَ فِي الثِّيَابِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا أَنْفَسُ مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ. وخُصَّ **الْبَطَائِنِ** بِالذِّكْرِ **كِنَايَةً عَنْ نَفَاسَةِ وَصْفِ ظَهَائِرِ الْفُرُشِ**»(١٠٩). فـ «تَرَكَ ذِكْرَ الظَّهَائِرِ لِعُلُوِّهَا وَرِفْعَتِهَا وَعَدَمِ إِدْرَاكِ الْعُقُولِ إِيَّاهَا»(١١٠)، وهذا ما لم يُذكر في ﴿فُرُشٍ﴾ الْجَنَّتَيْنِ الأَدْنَيَيْنِ - **فهذا وجه تمايز** - كما سبق بيانه تفصيلًا.

وفي الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَيْنِ تُوصَف بطائن الـ ﴿فُرُشٍ﴾ بأنها ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وفي الْأُخْرَيَيْنِ تُوصف الفُرُش بأنها ﴿خُضْرٍ... حِسَانٍ﴾، و«الْإِسْتَبْرَقُ: صِنْفٌ رَفِيعٌ مِنَ الدِّيبَاجِ الْغَلِيظِ، وَالدِّيبَاجُ: نَسِيجٌ غَلِيظٌ مِنْ حَرِيرٍ، وَالْإِسْتَبْرَقِ يُنْسَجُ بِخُيُوطِ

(١٠٧) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٨.
(١٠٨) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٢.
(١٠٩) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٨.
(١١٠) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٧٩.

الذَّهَبِ»(١١١)، أو «ما غلظ من الدِّيباج. وَقَدْ تكون البطانة: ظَهَارَة، والظهارة: بطانة فِي كلام العرب، وذلك أن كل واحد منهما قَدْ يكون وجهًا»(١١٢)، و«بلغة فارس»(١١٣).

وإلىٰ وصف الـ ﴿فُرُشٍ﴾ وتَنَوُّعِهَا فِي الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ تُضَاف مَيْزَةٌ هِيَ تَدَلِّي الثِّمار ودُنُوُّها: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾، أي: «ثمارُهم دانية، لا يَرُدُّ أيديَهم عنه بُعْدٌ ولا شَوْكٌ»(١١٤)، بل يتناولها أحدهم «إن شاء جالسًا، وإن شاء قائمًا، أو متكئًا»(١١٥) «دَائِرَةً عَلَيْهِمْ سَاتِرَةً إِلَيْهِمْ وَهُمْ سَاكِنُونَ... - وَفِيهِ الْحَقِيقَةُ وَهِيَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكْسَلْ وَلَمْ يَتَقَاعَدْ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ- وَسَعَىٰ فِي الدُّنْيَا فِي الْخَيْرَاتِ انْتَهَىٰ أَمْرُهُ إِلَىٰ سُكُونٍ لَا يُحْوِجُهُ شَيْءٌ إِلَىٰ حَرَكَةٍ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ إِنْ تَحَرَّكُوا تَحَرَّكُوا لَا لِحَاجَةٍ وَطَلَبٍ، وَإِنْ سَكَنُوا سَكَنُوا لَا لِاسْتِرَاحَةٍ بَعْدَ التَّعَبِ»(١١٦).

و«**نحو الآية قَوْلُه** ﷺ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ فهي لا تمتنع ممن أرادها، بل تَنْحَطُّ إليه مِنْ أغصانها»(١١٧)، وفي الحديث الشريف: «**وَالَّذي نَفسِي بيَدِهِ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرةً مِنَ الجَنَّةِ، فَتَصِلُ إلىٰ فِيهِ حتىٰ يُبَدِّلَ اللهُ مَكانَها خَيْرا منْها**»(١١٨)، وهذا غيرُ صريح في الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ - **وهذا وجه تمايُزٍ** يدعم عُلُوَّ منزلة الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، ويقرر أن معنىٰ «دون» في قوله ﷻ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: أدنىٰ وأقل في الرُّتبة والدرجة، وعَنِ ابْنِ أَبِي مُوسَىٰ، عَنْ أَبِيهِ: «جَنَّتَانِ

(١١١) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٨.
(١١٢) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١١٨.
(١١٣) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٣.
(١١٤) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٢.
(١١٥) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٣.
(١١٦) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٧٤. (١١٧) المراغي، «تفسير المراغي»، ٢٧: ١٢٦.
(١١٨) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٢.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

مِنْ ذَهَبٍ لِلسَّابِقِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ لِلتَّابِعِينَ»[١١٩]، والله تعالىٰ أعلم.

وفُرُش الْأُخْرَيَيْنِ لا تفاصيل فيها، وإنما هي ﴿رَفْرَفٍ﴾ موصوفة بـ ﴿خُضْرٍ﴾ - و«ذكروا أنها رياض الجنة، وقَالَ بعضهم: هِيَ المخادّ»[١٢٠]، و«المحابس الخُضْرُ علىٰ الفُرُش»[١٢١]، وقال ابن عاشور: «وَهِيَ مَا يُبْسَطُ عَلَىٰ الْفِرَاشِ لِيُنَامَ عَلَيْهِ، وَهِيَ تُنْسَجُ عَلَىٰ شِبْهِ الرِّيَاضِ، وَيَغْلُبُ عَلَيْهَا اللَّوْنُ الْأَخْضَرُ. [و] خُضْر وَصْفٌ كَاشِفٌ لِاسْتِحْضَارِ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ؛ لِأَنَّهُ يَسُرُّ النَّاظِرَ. وَكَانَتِ الثِّيَابُ الْخُضْرُ عَزِيزَةً؛ وَهِيَ لِبَاسُ الْمُلُوكِ وَالْكُبَرَاءِ»[١٢٢]، وهذا وجه تمايز في اللون والحسن؛ كما أن فيه تعويضًا عما هنالك في فُرُش الجنتين العُلْيَيَيْنِ من متاع. والـ ﴿عَبْقَرِيٍّ﴾: «الزرابيّ. وهي الطنافس المخملة، وهي الحسان»[١٢٣] «الثخان»[١٢٤]، أو «الديباج»[١٢٥]، فـ «الوصف الأول أرفع وأفخم»[١٢٦].

(١١٩) أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي، «الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار». تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، (ط١، لبنان، الرياض: دار التاج، مكتبة الرشد، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ٧: ١٤١، برقم ٣٤٨١٤.

(١٢٠) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١٢٠.

(١٢١) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٣.

(١٢٢) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٤.

(١٢٣) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٥.

(١٢٤) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١٢٠.

(١٢٥) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٨٥.

(١٢٦) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير»، ٢٧: ٢٣٦.

المُوازَنَةُ السَّادِسَةُ

بَيْنَ أَوْصَافِ الْحُورِ العِينِ فِي كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في وَصْف حُورِ جَنَّتَي الطَبَقَة العُليا: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٥٦ - ٥٩].

ويقول الله ﷻ في وَصْف حُورِ الْجَنَّتَيْنِ اللتين دونهما: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٧٠ - ٧٥].

ولا يزال النظم الكريم يبني ذِكر أصناف النعيم -في كل طبقة- علىٰ تقديم حرف الظرفية مقترنًا بمجروره (فِيهِنَّ) تقريرًا لتحقُّق ذلك النوع من النعيم والمتاع لأهل الجنان، وتوفُّره (فيهما) جميعًا وإن كان متمايزًا، وقد يُفهَم من ذلك التقديم القصرُ والتخصيص في كل موضع بِحَسَبه؛ فيكون كل صنف من الحور مقصورًا علىٰ طبقته من طبقتي الجنان، ومخصوصًا بها ملاءمَةً لأعمال أهلها، فيكون لأهل الجنتين الأُوليين (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ)، ويكون لأهل الدُّنيَيْن (مَّقْصُورَٰتٌ)، وتكون حور الأوليين (كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ)، وتكون لأهل الدنييين (خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ)، وتلك وجوه تمايز واضحة.

ونلحظ أن النظم الكريم قد عَدَل في مطلع الحديث عن الحُورِ في كُلِّ جَنَّتَيْنِ إلىٰ صيغة الجمع: ﴿فِيهِنَّ﴾ بدلًا من صيغة المثنىٰ السابقة: «فِيهِمَا» وهي الصيغة التي شاعتْ في بقية أصناف النعيم السابقة واللاحقة، مثل: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾. إلخ.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

وللعلماء في تأويل ذلك التحوُّلَ قولان: **الأول**: قال مقاتل: «﴿فِيهِنَّ﴾ يعنىٰ: في الْجِنَان الأربع»[١٢٧]، وهذا لا يتَّسق؛ إذ لم يكن مَضىٰ في الموضع الأوَّل إلا الْجَنَّتَانِ الْأُولَيَانِ فقط. **الثاني**: حكاه القرطبي فقال: «قيل: ﴿فِيهِنَّ﴾ يَعُودُ عَلَىٰ **الْفُرُشِ** الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، أَيْ فِي هَذِهِ الْفُرُشِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾»[١٢٨].

وأقول: لعلّ في العدول إلىٰ ضمير الجمع: ﴿فِيهِنَّ﴾ مُرَاعاةً لكثرة الْجِنَان، وأن المثنىٰ «جنتان» مرادٌ به الجمع – كما يقول ابن عاشور: «يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: **جِنْسَيْنِ مِنَ الْجَنَّاتِ**. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّثْنِيَةُ مُسْتَعْمَلَةً كِنَايَةً عَنِ **التَّعَدُّدِ**، وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ مَوْجُودٌ فِي الْكَلَامِ الْفَصِيحِ وَفِي الْقُرْآنِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]. وَإِيثَارُ صِيغَةِ التَّثْنِيَةِ هُنَا لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ فَقَدْ بُنِيَتْ قَرَائِنُ السُّورَةِ عَلَيْهَا، وَالْقَرِينَةُ ظَاهِرَةٌ وَإِلَيْهِ يَمِيلُ كَلَامُ الْفَرَّاءِ، وَعَلَىٰ هَذَا فَجَمِيعُ مَا أُجْرِيَ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ فِي شَأْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَمُرَادٌ بِهِ الْجَمْعُ»[١٢٩].

وسبق قوله في تثنية ﴿زَوْجَانِ﴾: «فَإِمَّا أَنْ نَجْعَلَ التَّثْنِيَةَ **بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ**، وَنَجْعَلَ إِيثَارَ صِيغَةِ **التَّثْنِيَةِ لِمُرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ**، وَلِأَجْلِ الْمُزَاوَجَةِ مَعَ نَظَائِرِهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إِلَىٰ هُنَا، وإما...»[١٣٠].

ففيه إشارةً إلىٰ كثرة حُور الْجِنَان؛ وذلك بطريق اللزوم الكنائي الحاصل من جَمْعِ الْجِنَان، المعدول إليهنَّ عن ضمير المثنىٰ. ولعل مما يدعم ذلك أن القرآن الكريم قد يتصرف في تنويع الجُمُوع مِن المفرد الواحد، وتوزيعها علىٰ المواضع المختلفة بيانًا عن المراد وتحقيقًا للأغراض.

---

(١٢٧) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٥.
(١٢٨) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨٠.
(١٢٩) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٥،٢٦٤.
(١٣٠) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٦.

انظر إلىٰ جَمْعِ القِلَّة «سُنْبُلَات» الوارد في قَصِّ الملِك ما رآه في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، بينما جاء جمعُها في آيات الحَضِّ علىٰ النفقات والصدقات من سورة البقرة جَمْعَ كَثْرَةٍ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١]؛ واللطيفة في ذلك التغايُر(١٣١) -والعلمُ عند الله ﷻ- أنه لَمَّا كان أمْرُ تأويل الرؤيا -تأويلًا دقيقًا- مُتَوَقِّفٌ علىٰ قَدْر المَرْئِيّ -ولا مقتضَىٰ لتكثيره- لَمْ يَتَزَيَّد المَلِك في جمع «السُّنْبِلَات»؛ بل أتىٰ به علىٰ وَفْق ما رأىٰ جمْعَ قِلَّة محدودَ العدد: «**سُنْبُلَات**»، ولَمَّا كان الغرضُ في المقام الآخر -مقامَ إغراء بالإنفاق والتصدُّق وتعظيمَ أجر الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ- جاء الجمع علىٰ صيغة الكَثْرَةِ «**سَنَابِل**»؛ إغراء للمنفقين علىٰ تعظيم نفقاتهم وتكثيرها. والله ﷻ أعلىٰ وأعلم.

ويقول الزحيلي: «قال ﷺ في الموضعين عند ذكر الحور: ﴿فِيهِنَّ﴾ وفي سائر المواضع: ﴿فِيهِمَا﴾، والسِّرُّ في ذلك الإشارةُ إلىٰ أن لِكل حُورِيَّةٍ مسكنًا علىٰ حِدَةٍ، متباعِدًا عن مسكن الأخرىٰ، مُتَّسِعًا يَلِيق بالحال، وهذا ألَذُّ وأمتعُ وأهنأُ لِلرَّجُل الواحد عند تَعَدُّد النساء، فيَحصُل هناك متنزَّهات كثيرة، كل منها جنَة، وكأن في ضمير الجمع إشارةً لذلك. أما العيون والفواكه فلا حاجة فيها لهذا الاستقلال، فاكتفَىٰ فيها بِعَوْدِ الضمير إلىٰ الْجَنَّتَيْنِ فقط»(١٣٢).

وعلىٰ القول بأن الْجِنَان الأربعة - «جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الفردوس،

---

(١٣١) أحمد محمد محمود سعيد، «دَوْرُ البلاغةِ القرآنيَّةِ في تأْديةِ الأغراضِ الشرعيَّةِ - الصورة البيانية في آياتُ الإنفاقِ من سُورةِ البقرةِ ٢٦١ - ٢٦٦ نَمُوذجًا». (مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر بالقاهرة، ٢٠١٢م)، ص: ١٤٣٤.

(١٣٢) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير»، ٢٧: ٢٣٥.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

وجنة المأوىٰ»[١٣٣] – للمؤمنين جميعًا فلا فرق بينهم فيها، والمعنىٰ: «في هذه الْجِنَان الأربعة، في كل واحدة منها تجدون خَيِّرَةً زوجةً هي أحسن مما في الأخرىٰ»[١٣٤]، والله تعالىٰ أعلم.

ولم يُذكر في موضعي الموازنة هنا لفظ «**النساء**»، وإنما ورد وصفُهما مباشرة، مرة بـ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾، ومرة بـ ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾؛ وذلك مما يُوَفِّر عِنايَةَ السامع علىٰ العناية بجمال الوصف المذكور في كلٍّ؛ إذ كان الموصوف –المحذوف– معلومًا بالضرورة، فقد قال ﷻ في الموضع الأول: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾[١٣٥]، وقال في الموضع الثاني: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾[١٣٦].

وللإمام ابن عاشور رأي آخر في تأويل ضمير الجمع، يقول: «ضَمِيرُ ﴿فِيهِنَّ﴾ عَائِدٌ إِلَىٰ ﴿فُرُشٖ﴾، وَهُوَ سَبَبُ تَأْخِيرِ نِعَمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِلَذَّةِ التَّأَنُّسِ بِالنِّسَاءِ عَمَّا فِي

(١٣٣) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٣.

(١٣٤) السمرقندي، «بحر العلوم»، ٣: ٣٨٨.

(١٣٥) «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنسٞ﴾ قَبْلَهُمْ أَيْ لَمْ يطمثهن أحد قبل، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا جَآنّٞ﴾ تَتْمِيمٌ وَاحْتِرَاسٌ، وَهُوَ إِطْنَابٌ دَعَا إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّةَ دَار ثَوَاب لصالحي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛ فَلَمَّا ذَكَرَ ﴿إِنسٞ﴾ نَشَأَ تَوَهُّمٌ أَنْ يَمَسَّهُنَّ جِنٌّ فَدَفَعَ ذَلِكَ التَّوَهُّمَ بِهَذَا الِاحْتِرَاسِ». الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٠.

(١٣٦) وَقِيلَ فِي معنىٰ ﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: «مُخْتَارَاتٌ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: فَالْخَيْرَاتُ مَا اخْتَارَهُنَّ اللهُ فَأَبْدَعَ خَلْقَهُنَّ بِاخْتِيَارِهِ، فَاخْتِيَارُ اللهِ لَا يُشْبِهُ اخْتِيَارَ الْآدَمِيِّينَ. ثُمَّ قَالَ: (حِسانٌ) فَوَصَفَهُنَّ بِالْحُسْنِ فَإِذَا وَصَفَ خَالِقُ الْحُسْنِ شَيْئًا بِالْحُسْنِ فَانْظُرْ مَا هُنَاكَ. وَفِي الْأُولَيَيْنِ ذَكَرَ بِأَنَّهُنَّ (قاصِراتُ الطَّرْفِ) و(كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَالْمَرْجانُ) فَانْظُرْ كَمْ بَيْنَ الْخَيِّرَةِ وَهِيَ مُخْتَارَةُ اللهِ، وَبَيْنَ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ يَأْخُذُ بَعْضُهُنَّ بِأَيْدِي بَعْضٍ وَيَتَغَنَّيْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا بِمِثْلِهَا نَحْنُ الرَّاضِيَاتِ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، وَنَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْؤُسُ أَبَدًا، وَنَحْنُ خَيِّرَاتٌ حِسَانٌ حَبِيبَاتٌ لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ). خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ ﷺ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ إِذَا قُلْنَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ أَجَابَهُنَّ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا: نَحْنُ الْمُصَلِّيَاتُ وَمَا صَلَّيْتُنَّ، وَنَحْنُ الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضيات وَمَا تَوَضَّأْتُنَّ، وَنَحْنُ الْمُتَصَدِّقَاتُ وَمَا تَصَدَّقْتُنَّ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: فَغَلَبْنَهُنَّ وَاللهِ». القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨٧.

الْجَنَّاتِ مِنَ الْأَفْنَانِ وَالْعُيُونِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْفُرُشِ؛ لِيَكُونَ ذِكْرُ الْفُرُشِ مُنَاسِبًا لِلِانْتِقَالِ إِلَىٰ الْأَوَانِسِ فِي تِلْكَ الْفُرُشِ، وَلِيَجِيءَ هَذَا الضَّمِيرُ مُفِيدًا مَعْنًىٰ كَثِيرًا مِنْ لَفْظٍ قَلِيلٍ، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ التَّرْتِيبِ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ. فَـ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ كَائِنَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَكَائِنَةٌ عَلَىٰ الْفُرُشِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الْوَاقِعَة:٣٤ - ٣٦]»[١٣٧].

«**وَالطَّمْثُ**: الِافْتِضَاضُ، وَهُوَ النِّكَاحُ بِالتَّدْمِيَةِ»[١٣٨]، وكل واحدة منهنّ مُبرَّأةٌ منه. والجار والمجرور ﴿فِيهِنَّ﴾ يؤدي مهمَّة الظَّرف: «داخِلَهُنّ»، وتَكْرارُه في الموضعين يُقَرِّر اشتمال الْجِنَان علىٰ ذلك النوع من النعيم، وأن كل رَجُل من أهلِ الْجِنَان يَظْفَر بِزَوْجات من الحور العين -وإنْ تَمَايَزْنَ جمال مظهر ومَخْبَر بِحَسَب درجة المؤمن- **وهذا وجه اتفاقٍ**.

ويبدو أن **وَجْه الاتفاق** الوحيد في أوصاف حُورِ جِنانِ (سورة الرحمن) -جميعًا- هو الوصف: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾. أي: «لم يَفْتَضِضْهُنَّ. وطَمَثَهَا أي: نَكَحَهَا»[١٣٩]. وذُكِرتْ بَراءتُهن من الطمث مرةً وصْفًا لِحُور الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، ومرة أخرىٰ وصفًا لِحور الْجَنَّتَيْنِ الأخريين؛ وذلك لأنه من أهمِّ ما يَشْغَل بالَ الرجل الغيور علىٰ زوجته؛ ويُفترض أن تكون الغيرة طبعًا في جنس الذكور جميعًا.

وقيل بأن حور الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ: «أَزوَاجهنَّ [اللاتي كنّ في الدنيا]. بَعْدَ خَلْقِ الله ﷻ إياهن الْخَلْق الثَّانِي؛ يَعْنِي: مَا كَانَ من الْمُؤْمِنَات من نسَاء الدُّنْيَا»[١٤٠]. فزوجات

(١٣٧) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٩.

(١٣٨) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨١.

(١٣٩) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١١٩. «وَالطَّمْثُ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَسُكُونِ الْمِيمِ مَسِيسُ الْأُنْثَى الْبِكْرِ، أَيْ مِنْ أَبْكَارٍ. وَعُبِّرَ عَنِ الْبَكَارَةِ بِـ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ إِطْنَابًا فِي التَّحْسِينِ». الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٠.

(١٤٠) محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد المري ابن أبي زَمَنِين، «تفسير القرآن العزيز». تحقيق أبي

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

المؤمنين اللائي كُنَّ في الدنيا سَيَكُنَّ في الجنة أعلىٰ وأجمل وألذّ من الحور اللاتي يَخْلُقُهُنَ الله ﷻ في الجنة ابتداء، ولعل ذلك مكافأة لهن علىٰ صَبْرِهِنّ مع أزواجهنَّ علىٰ بلاءات الدنيا.

ومن تفاصيل وجوه التمايز التي سبق إجمالها أنَّ الذِّكْر الحَكِيم بَدَأ الحديثَ عن حُور الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِذِكر أهم ما يُسعد الزوج -وبخاصة الغيور- في زوجته، فَطَمْأَنَهُ ثانيةً عن هذا الجانب، بل طمأنه عما يخُصُّ أحاسيس زوجته الكامنة، فهُنّ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، بينما قال في حور الْجَنَّتَيْنِ الأخريين: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾، والفرق بينهما كبير كما ترىٰ.

ثم شُبِّهت حُور الجنتين الأُوليين بـ ﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي أنهنّ في «صفاء الياقوت في بياض المرجان. [قال قتادة] ذُكِر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «**مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ فَلَهُ فِيها زَوْجتَان يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَرَاءِ ثِيابِهِما**»[١٤١]، ومن المعلوم أن «أهل الدِّينِ يَكونون من أهل غيرة، لا يريدون أن تنظُر أزواجهُم إلىٰ غيرهم، ولا غيرُهم يَنظرون إليهنَّ؛ فأخبر بالآيتين: أنَّهُنَّ لا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن، ولا غيرُهم إليهن؛ حيث وَصَفَهُنَّ بِأنهن قاصراتٌ مقصوراتٌ في الخيام»[١٤٢].

ثم يَتَرَقَّىٰ النظمُ الكريم في نَفْسِ النَّفَس القرآني الكريم إلىٰ تطمينِ تلك النفوس بِصَوْن حُورِهِم مِن كُلِّ وَطْءٍ، فيقول: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[١٤٣].

= عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفىٰ الكنز، (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ٤: ٣٣٣.

(١٤١) الطبري،« تفسير الطبري - جامع البيان»، ٢٣: ٦٧.

(١٤٢) أبو منصور الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٩: ٤٨١. قال مقاتل: «الخيام، يعني الُّدر المُجَوَّف، الدُّرَّة الواحدة مثل القَصْر العظيم، جَوْفاءُ علىٰ قدر مِيلٍ في السماء، طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها أربعةُ آلافِ مصراعٍ من ذَهَبٍ»، مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل»، ٤: ٢٠٥.

(١٤٣) «عن مجاهد، قال: إذا جامع الرجل ولم يسمِّ، انطوىٰ الجانّ علىٰ إحليله فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾». القرطبي، «تفسير القرطبي»، ١٠: ٢٨٩.

فساق كلَّ ذلك -في الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ- دَفْعَةً واحدة في صدر الآية الأولىٰ من الحديث عنهنّ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنّ﴾؛ إذ الانشغال بهذا الجانب مَرْكُوز في طباع نفوس الرجال القويمة، وهو عندها أخطر ما يشغلها بالخصوص؛ فكان البدء به في مطلع الحديث عنهن أهمَّ ما يطمئن الرجال، ويرغبهم فيهن، وبخاصة تلك البيئة العربية الغيور رجالُها.

بينما تناثرتْ هاتان الدلالتان في وصف حور الْجَنَّتَيْنِ الأخريين في آيتين مفصولًا بينهما بآيتين، فقال أوَّلا: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، ثم أُقْحِمَ بينهما: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ثم عاد ثانيًا: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾، فما اجتمع في الأُوَل تفرَّق في الأُخَر، **وهذا وجه تمايز كبير جليّ**.

ولا شك أن الفرق كبير بين إيحاءات اسم الفاعل: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، وإيحاءات اسم المفعول: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾؛ إذ الأُوَلُ يَقْصِرن مِن تلقاء أنفسهن - وهُنَّ «النساء اللاتي قد قُصِرَ طَرْفُهُنّ علىٰ أزواجِهِنّ، فلا يَنظرْنَ إلىٰ غيرِهم من الرجال»(١٤٤)، و«فِي نَظَرِهِنَّ مِثْلُ الْقُصُورِ، وَالْغَضُّ خِلْقَةٌ فِيهِنَّ»(١٤٥)، و«لا يَرفعْنَ بَصرَهُن إلىٰ غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم، والله أعلم»(١٤٦).

أما وصف الـ ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ فـ «مِنْ صِفَاتِ التَّرَفِ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا، فهنّ اللائي لَا يَحْتَجْنَ إِلَىٰ مُغَادَرَةِ بِيُوتِهِنَّ لِخِدْمَةٍ أَوْ وِرْدٍ أَوِ اقْتِطَافِ ثِمَارٍ، **أَيْ هُنَّ مَخْدُومَاتٌ مُكَرَّمَاتٌ**»(١٤٧)، وأن الذي يدل علىٰ عظمة الـ ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ «**أَنَّهُنَّ يُوصَفْنَ بِالْمُخَدَّرَاتِ لَا بِالْمُتَخَدِّرَاتِ، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُنَّ خَدَّرَهُنَّ خَادِرٌ لَهُنَّ غَيْرُهُنَّ، كَالَّذِي**

(١٤٤) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٣.
(١٤٥) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٦٩.
(١٤٦) أبو منصور الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٩: ٤٨٤.
(١٤٧) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٤.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

يَضْرِبُ الْخِيَامَ وَيُدْلِي السِّتْرَ، بِخِلَافِ مَنْ تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِهَا وَتُغْلِقُ بَابَهَا بِيَدِهَا»(١٤٨).

وقد يقع في الوهم أن معنىٰ ﴿مَقْصُورَٰتٌ﴾ هو: محبوسات -كما يشرحه بعض الأساتذة لطلابهم في باب القصر البلاغي أخذًا من تفسير مقاتل حيث يقول: «المقصورات: المحبوسات علىٰ أزواجهن في الخيام»(١٤٩)- بينما المقصود به هنا معنًىٰ كنائيٌّ آخرُ تمامًا؛ وكيف يستمتع الزوج في الْجِنَان بزوجة محبوسة! وكيف يَكُنَّ محبوسات وهنَّ حُورٌ(١٥٠) جميلاتٌ لا يكتمل جمالُهن إلا بحرِّيتهن ودَلالِهن!

إنّ المقصود من صيغة ﴿مَقْصُورَٰتٌ﴾ إذن هو ما لمحه الرازي وردَّده ابنُ عاشور: «أَنَّهُنَّ يُوصَفْنَ بِالْمُخَدَّرَاتِ لَا بِالْمُتَخَدِّرَاتِ، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُنَّ خَدَّرَهُنَّ خَادِرٌ لَهُنَّ غَيْرُهُنَّ، **كَالَّذِي يَضْرِبُ الْخِيَامَ وَيُدْلِي السِّتْرَ**، بِخِلَافِ مَنْ تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِهَا وَتُغْلِقُ بَابَهَا بِيَدِهَا»(١٥١)، و«مِنْ صِفَاتِ التَّرَفِ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا، فهنّ اللائي لَا يَحْتَجْنَ إِلَىٰ مُغَادَرَةِ بِيُوتِهِنَّ لِخِدْمَةٍ أَوْ وِرْدٍ أَوِ اقْتِطَافِ ثِمَارٍ، أَيْ هُنَّ مَخْدُومَاتٌ مُكَرَّمَاتٌ»(١٥٢)، و«لا يُرِدْنَ غيرهم، ولا يطمحن إلىٰ سواهم»(١٥٣).

لذلك يقول مقاتل: «أَيْ فِي بَاطِنِهِنَّ الْخَيْرُ، وَفِي ظَاهِرِهِنَّ الْحُسْنُ»(١٥٤)، و«خَيْرَاتٌ مُخَفَّفٌ مِنْ خَيِّرَاتٍ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ [وهو] مُؤَنَّثُ خَيِّرٍ، وَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِأَنَّ صِفَتَهُ الْخَيْرُ ضِدُّ الشَّرِّ. وَخَفَّفَ فِي الْآيَةِ طَلَبًا لِخِفَّةِ اللَّفْظِ مَعَ السَّلَامَة من اللَّبْسِ بِمَا أَتْبَعَ بِهِ من وَصْفِ «حِسان» الَّذِي هُوَ جَمْعُ حَسْنَاءَ»(١٥٥)، و«عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَوْ أَنَّ خَيْرَةً مِنْ

(١٤٨) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٧٦.

(١٤٩) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٥.

(١٥٠) «الحوراء: العَيْناء الحسناء...، وعن سفيان: الحَوَرُ: سواد في بياض...، عن مجاهد: الحُورُ: البِيضَ قلوبُهُم وأنفسُهُم وأبصارُهم». الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٧٦.

(١٥١) عبد الله محمد بن عمر الرازي، «تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير»، ٢٩: ٣٧٦.

(١٥٢) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٤.

(١٥٣) الفراء، «معاني القرآن»، ٣: ١٢٠.

(١٥٤) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٨٠.

(١٥٥) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٣.

﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ اطَّلَعَتْ مِنَ السَّمَاءِ لَأَضَاءَتْ لَهَا، وَلَقَهَرَ ضَوْءُ وَجْهِهَا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَلَنَصِيفٌ تُكْسَاهُ خَيْرَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١٥٦). و«كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هنّ في هاتين الْجَنَّتَيْنِ في صفائهنّ الياقوت، الذي يرىٰ السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرىٰ مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان»(١٥٧).

هُنَّ إذن وُصِفْنَ بالـ ﴿مَقۡصُورَٰتٞ﴾ لأنهنّ «لا يظهرن لغير المحارم، وإن لم تكن الجنة دار التكليف؛ وذلك لأنهن من قبيل الأسرار، وهي تصان عن الأغيار غيرة عليها»(١٥٨). ففي هذا الوصف «إِشَارَةٌ إِلَىٰ عِظَمِ تِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ مَا قَصُرْنَ حَجْرًا عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ **ضَرْبِ الْخِيَامِ لَهُنَّ وَإِدْلَاءِ السِّتْرِ عَلَيْهِنَّ**. [و] الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ التَّحَرُّكِ لِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا **الْأَشْيَاءُ تَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ**، فَالْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ مِنْهُ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ [أي علىٰ المؤمنين] بِمَا يَشْتَهُونَهُ، فَالْحُورُ يَكُنَّ فِي بُيُوتٍ، وَعِنْدَ الِانْتِقَالِ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ إِرَادَتِهِمْ **تَسِيرُ بِهِنَّ لِلِارْتِحَالِ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ خِيَامٌ** وَلِلْمُؤْمِنِينَ قُصُورٌ، تَنْزِلُ الْحُورُ مِنَ الْخِيَامِ إِلَىٰ الْقُصُورِ»(١٥٩). فهُنّ إذن «مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن»(١٦٠).

وآثر النظم الكريم الكناية عن كمال العِفَّة في: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ علىٰ التصريح «عفيفات»، فـ «عُدِل عن المعنىٰ الخاصِّ إلىٰ لفظ الإرداف [الكناية] لأن كلّ مَن عَفَّ غَضَّ الطَرْف عن الطموح [والتطلُّع]... وقَصْرُ طَرْف المرأة علىٰ بَعْلَها أو قَصْرُ طرْفها

(١٥٦) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨٧.
(١٥٧) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٥.
(١٥٨) محمد الأمين بن عبد الله الهروي، «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ. ٢٠٠١م)، ٢٨: ٣٢٥.
(١٥٩) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٨٠.
(١٦٠) الخازن، «لباب التأويل في معاني التنزيل»، ٤: ٢٣٣.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

حياءً وخَفرًا. أمرٌ زائدٌ علىٰ العِفَّة؛ لأن مُن لا يَطمح طرفُها لِغير بَعْلِها، أو لا يَطمح حياءً وخفرًا فإنها ضرورةً تكونُ عفيفةً، فكل قاصرةِ الطرْف عفيفةٌ، وليست كل عفيفةٍ قاصرةَ الطرف؛ فلذلك عُدِل عن اللفظ الخاص -عفيفات- إلىٰ لفظ الإرداف [الكناية]»[١٦١].

وفي الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ صورة فريدة لِحُورِهما ليس لها وجود ولا مقابل في الْجَنَّتَيْنِ الأخريين، هي قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، وهذا التفرُّد من أقوىٰ الشواهد علىٰ أن معنىٰ «دون» في قوله ﷻ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أنهما أقل وأدنىٰ من الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؛ فقد اكتفىٰ الذِّكْر الحَكِيم بِوصْف حُور الْجَنَّتَيْنِ الأَدْنَيْنِ بِصِفَتَي: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ وصفًا إجماليًّا لجمال الظاهر والباطن وحسنهما، بينما فَصَّل هنا، و«ليس كل حُسْن كَحُسْن الياقوت والمرجان»[١٦٢]؛ فذلك وجه تمايُز واضح.

و«عن النبي ﷺ قال: (إنَّ المَرأةَ مِنْ أَهْل الجَنَّة لَيُرَىٰ بَياضُ ساقها مِنْ وَرَاء سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حريرٍ ومُخُّها، وذلكَ أن اللهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، أمَّا الياقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأيْتَهُ مِنْ وَرَائِه)»[١٦٣]، «وَجُمْلَةُ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ نَعْتٌ أَوْ حَالٌ مِنْ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾. وَوَجْهُ الشَّبَهِ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ فِي لَوْنِ **الْحُمْرَةِ الْمَحْمُودَةِ**، أَيْ **حُمْرَةِ الْخُدُودِ** كَمَا يُشَبَّهُ الْخَدُّ بِالْوُرُدِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ بِهِمَا فِي **الصفاء واللمعان**»[١٦٤]، فـ «كَأَنَّهُنَّ فِي الشَّبَهِ فِي صفاء الْيَاقُوتُ الأحمر، فِي بياض الْمَرْجان، يعني الدُّرّ العظام»[١٦٥]، وفي الحديث الشريف: «يَنْظُرُ إِلىٰ وَجْهِهِ فِي خَدِّها أصفىٰ مِن المِرآة، وإنَّ أدنىٰ لُؤْلُؤة عليها لَتُضِيء

(١٦١) محيي الدين بن أحمد مصطفي درويش، «إعراب القرآن وبيانه». (ط٤، حمص، دمشق: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير، ١٤١٥هـ)، ٩: ٤١٦.

(١٦٢) محمد الأمين، «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن»، ٢٨: ٣٢٥.

(١٦٣) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٦.

(١٦٤) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٠.

(١٦٥) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٤.

ما بين المشرق والمغرب، وإنَّها تكون عليها سَبْعُون ثوبًا يَنفُذُها بَصَرُه حتىٰ يَرَىٰ مُخَّ ساقِها من وراء ذلك»(١٦٦).

ومن اللافت هنا ترتيبُ ذِكر النعيم بِزوجات الجنَّة؛ حيث إنَّ الذِّكْر الحَكِيم أَخَّرَ الحديثَ عنهن إلىٰ ما بعد الحديث عن الفُرُش في الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وساق ذكرهن آخرَ أنواعِ نعيمهما، بينما قَدَّم ذِكرَهُنَّ علىٰ ذِكر الفُرُش في الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، ووُسِّطْنَ أنواعَ نعيمهما. فتُرىٰ ما إشارات ذلك التصرُّف النظميّ في موضع ذِكْر الحور العين في كلٍّ؟

والجواب الذي لم أقع علىٰ أبرعَ منه ما وُفِّق إليه الإمام الألوسي حيث يقول: «ولعلّه إنما قَدَّمَ سبحانه ذِكْر الاتِّكَاء أوَّلا علىٰ ذِكْر النساء؛ لأنه ﷻ ذَكَر في صدر الآية الخوفَ حيثُ قال ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فناسب التعجيلُ بِذِكر ما يُشعر بِزواله إشعارًا ظاهرًا [أي بطريق الكناية] وهو الاتِّكَاء، فإنه مِن شأن الآمنين، وأَخَّر ﷻ ذِكْرَه ثانيًا عن ذِكْرِهِنَّ لِعدم ما يستدعِي التقديمَ، و[لـ] كونِه مما يكون لِلرجل عادةً بَعد فَراغِ ذِهْنِه عما يَحتاجُه المنزِلُ مِن طَعامٍ وشرابٍ وقَيْنَةٍ تَكُونُ فِيه، وإذا قلنا: إن الحور كالجواري في المنزل كان أمر التقديم والتأخير أوقعَ»(١٦٧) وأوضحَ؛ لأنَّ السيد يَتَّكِئُ وحولَه جواريه، وكذلك المؤمنُ في الجَنَّة وحولَه حورُه.

(١٦٦) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، «جامع الأحاديث، ويشتمل علىٰ جمع الجوامع، والجامع الأزهر، وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني». ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين، الشاملة ١٤٣١هـ. وقال: أخرجه الحاكم ٢: ٥١٦ رقم ٣٧٧٤، وقال: صحيح الإسناد. ١٥: ٢٣٦، برقم ١٥٤٠١.

(١٦٧) الألوسي، «روح المعاني»، ١٤: ١٢٥.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الْمُوَازَنَةُ السَّابِعَةُ

بَيْنَ خَتْمِ أَوْصَافِ النَّعِيمِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن)

يقول الله ﷻ في ختام أوصاف جَنَّتَي الطَبَقَة العُليا: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

ويقول الله ﷻ في ختام أوصاف الْجَنَّتَيْنِ اللتين دونهما: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

جملة ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ «تَذْيِيلٌ لِلْجُمَلِ الْمَبْدُوءَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، أَيْ لِأَنَّهُمْ أَحْسَنُوا فَجَازَاهُمْ رَبُّهُمْ بِالْإِحْسَانِ»(١٦٨).

قال ابن كثير «وَتَمَامُ الْخَاتِمَةِ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾؟ فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ أَعْلَىٰ الْمَرَاتِبِ وَالنِّهَايَاتِ»(١٦٩).

خُتِم نعيم الطَبَقَة العليا بهذا الاستفهام ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ لبيان **وجْه ظَفَرهم** بهذا النعيم، **ولتأكيد جدارتهم** بهذه المثوبة؛ فتقرير الأمر بطريق الاستفهام يحقق الهدفين دَفْعَة، وهو مهيع أرسخ من سَوْق الفكرة في صيغة الخبر؛ لأنه يُشْرِك المخاطَب مع المتكلِّم في القناعة بها. قال ابن عاشور: «وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي **النَّفْيِ**، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِالِاسْتِثْنَاءِ فَأَفَادَ حَصْرَ مُجَازَاةِ الْإِحْسَانِ فِي أَنَّهَا إِحْسَانٌ، وَهَذَا الْحَصْرُ إِخْبَارٌ عَنْ كَوْنِهِ الْجَزَاءَ الْحَقَّ وَمُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ»(١٧٠).

---

(١٦٨) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧١.

(١٦٩) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٧: ٥١٠.

(١٧٠) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧١.

قال ابن جرير: «يقول تعالىٰ ذكره: هل ثواب خوف مقام الله ﷻ لمن خافه، فأحسن في الدنيا عَمَلَه، وأطاع ربه، إلا أن يُحسِن إليه في الآخرة ربُّهُ، بأن يجازيَه علىٰ إحسانه ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ... إلىٰ قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾»(١٧١).

وفي هذا التصنيف لدرجات النعيم ما يفتح باب الرجاء لكل الموحِّدين علىٰ اختلاف مستويات تعبُّدهم، فمنهم المجتهدون السابقون بالخيرات، ومنهم من خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيِّئًا، وكلهم مأجورون إن شاء الله تعالىٰ.

وخُتِم ذِكْر نعيم الطَبَقَة الدُّنيا بهذه الآية الكريمة: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي «تعاظم وكثر خيرُه، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه»(١٧٢)، وجليٌّ أن هذه الآية المباركة خَتْمٌ في الوقت ذاته للسورة الكريمة كلها، «يعني الكريم فلا أكرم منه، يمدح الرب نفسه ﷻ»(١٧٣) بإكرامه «لأهل طَاعَته»(١٧٤)، «يعني ذي العظمة ومن له الإكرام من جميع خلقه. و[هو] ذو العظمة والكبرياء»(١٧٥).

كذلك قوله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ختم لـ(سورة الرحمن) كلها، «وَصَفُهُ تَعَالَىٰ بِكَمَالِ الْبَرَكَةِ، وَالْبَرَكَةُ: الْخَيْرُ الْعَظِيمُ وَالنَّفْعُ، وَقَدْ تُطْلَقُ الْبَرَكَةُ

---

(١٧١) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٦٧. قال صاحب تأويلات أهل السنة: «ولكن غيره كأنه أقرب، أي: هل جزاء إحسان الله تعالىٰ بما أنعم عليهم في الدنيا إلا الإحسان له بالشكر والقبول، أي: الإتيان بفعل الحسن، وهو الشكر له، وحسن القبول؛ لأنه ليس يستوجب أحد قِبَلَ الله تعالىٰ بإحسانه في الدنيا جزاء في الآخرة، إنما الجزاء لهم بحق الفضل والإنعام، لا بحق الاستحقاق». أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، «تأويلات أهل السنة»، ٩: ٤٨٢.

(١٧٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، «تيسير الكريم الرحمن». تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص: ٨٣٢.

(١٧٣) مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان»، ٤: ٢٠٥.

(١٧٤) ابن أبي زمنين، «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين»، ٤: ٣٣٥.

(١٧٥) الطبري، «جامع البيان»، ٢٣: ٨٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

عَلَىٰ عُلُوِّ الشَّأْنِ»[١٧٦]، و«كأنه ﷻ يُعْلِمُ عبادَه أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمِن رحمتي خلقُكم، وخلقت لكم السماء والأرض، والخلق والخليقة، والجنة والنار، فهذا كله من اسم الرحمن»[١٧٧].

«وَأَسْنَدَ ﴿تَبَارَكَ﴾ إِلَىٰ ﴿ٱسْمِ﴾ -وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِهِ الْمُسَمَّىٰ- دُونَ أَنْ يَقُولَ: تَبَارَكَ رَبُّكَ، كَمَا قَالَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الْفُرْقَانَ:١] وَكَمَا قَالَ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ:١٤]؛ لقصد **الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِهِ تَعَالَىٰ بِصِفَةِ الْبَرَكَةِ** عَلَىٰ طَرِيقَةِ **الْكِنَايَةِ** لِأَنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ- كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ الْبُلَغَاءُ- لِأَنَّهُ **إِذَا كَانَ اسْمُهُ قَدْ تَبَارَكَ فَإِنَّ ذَاتَهُ تَبَارَكَتْ لَا مَحَالَةَ** لِأَنَّ الِاسْمَ دَالٌّ عَلَىٰ الْمُسَمَّىٰ، وَهَذَا عَلَىٰ طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الْأَعْلَىٰ:١] فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ التَّنْزِيهُ مُتَعَلِّقًا بِاسْمِهِ فَتَعَلُّقُ التَّنْزِيهِ بِذَاتِهِ أَوْلَىٰ. لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُمْ مَحْقُوقُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِشُكْرٍ يُوَازِي عِظَمَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ»[١٧٨].

«فِي اسْتِحْضَارِ الْجَلَالَةِ بِعُنْوَانِ ﴿رَبِّ﴾ مُضَافًا إِلَىٰ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ وَهُوَ النَّبِيِّ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا فِي مَعْنَىٰ الرَّبِّ مِنَ **السِّيَادَةِ الْمَشُوبَةِ بِالرَّأْفَةِ** وَالتَّنْمِيَةِ، وَإِلَىٰ مَا فِي الْإِضَافَةِ مِنَ **التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ** وَإِلَىٰ كَوْنِ النَّبِيءِ ﷺ هُوَ الْوَاسِطَةُ فِي حُصُولِ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ لِلَّذِينِ خَافُوا مَقَامَ رَبِّهِمْ بِمَا بَلَّغَهُمُ النَّبِيءُ ﷺ مِنَ الْهُدَىٰ»[١٧٩]. و«جَرَيَانِ الْبَرَكَةِ عَلَىٰ التَّلَفُّظِ بِأَسْمَاءِ اللهِ»[١٨٠]. «وَ(**الْجَلَالُ**): الْعَظَمَةُ، وَهُوَ جَامِعٌ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِ تَعَالَىٰ. وَ(**الْإِكْرَامُ**): إِسْدَاءُ النِّعْمَةِ وَالْخَيْرِ، فَهُوَ إِذْنٌ حَقِيقٌ بِالثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ»[١٨١].

(١٧٦) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٦.
(١٧٧) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير»، ٢٧: ٢٣٦.
(١٧٨) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٦، ٢٧٧.
(١٧٩) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٧.
(١٨٠) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٧.
(١٨١) الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٧٨.

وفي نهاية البحث أذكُر قول الإمام القرطبي: «وَلَعَلَّ مَا لَمْ يُذْكَرْ مِنْ تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُمَا [أي بين رُتْبَتَي جنان السورة الكريمة] أَكْثَرُ مِمَّا ذُكِرَ»(١٨٢)، وأقول: لعله اكتُفِي بما ذُكِر رمزًا للنعيم والمُلك الكبير المذكورين في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]، والله ﷻ أعلم.

(١٨٢) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٧: ١٨٤.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الخَاتِمَةُ

بعد هذه السياحة المباركة يطيب لي أن أسجِّل ما تَمَخَّض عنه البحث من ملحوظاتٍ أحسبُها موفَّقة، وأرجو لها القبول إن شاء الله تعالىٰ؛ منها:

أوَّلًا: تصرّف النظمُ الكريم في بيانه عن تمايز أوصاف أصناف النعيم وأوصافها في جنان (سورة الرحمن) تصرّفًا دقيقًا، جلَّىٰ الفروق بين تفاصيل النعيم في كل طبقة من طبقتي السورة الكريمة.

ثانيًا: يَبدو أن المقصود مِن سَوْقَ جِنان (سورة الرحمن) ونعيمِها عقب ذِكْرِ شُواظ النار وجحيمها - المقصود طَيُّ أسباب الترهيب قبل أسباب الترغيب، ومحو آثار التخويف والتهديد عن العصاة، وقد انتهوا عن مقارفة أسبابها؛ اتِّساقًا مع قول الله ﷻ: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»(١٨٣)، فسبقت أسبابُ الترهيب في السورة لتَطْوِي أسباب الترغيب ذِكْرَها، وتعفِّي آثارَها، فتبقىٰ أسبابُ الترغيب عالقةً في النفس وقد سيقت علىٰ إثرها.

ثالثًا: بُنِي ذِكْرُ نعيم الْجَنَّتَيْنِ العُلَيَيْنِ علىٰ ذِكْر أصحابهما، بينما لم يُبْنَ ذِكر نَّعيم الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ علىٰ ذِكر أصحابهما؛ ولعلَّ في ذلك تنويهًا بشأن المذكورِين، ورفعًا لشأنهم؛ جزاء لخوفهم مقام ربهم، والله تعالىٰ أعلم.

رابعًا: التمس البحث -بناء علىٰ قرائن كثيرة من الشرع الحنيف- أن أصحابَ الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ الذِين لم يُذكروا في مطلع ذكرهما هم أهل الرجاء؛ وبناء -أيضًا- علىٰ أن قسيمهم المذكورِين في صدر الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ هم أهل الخوف؛ لأن مدار

(١٨٣) البخاري، «صحيح البخاري»، برقم ٧٥٥٤، ٩٧ - كِتَابُ التَّوْحِيدِ - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢٢]، ٩: ١٦٠.

علاقة العبد بربه مبنية على تحقيق الخوف والرجاء، فإذا ذكر الخوف وصفًا لأصحاب الجنتين الأُوليين كان الجنتان الأخريان لأهل الرجاء، والله تعالى أعلم.

خامسًا: تُقَرِّر (سورة الرحمن) أن جزاء العاملين سيكون من جنس أعمالهم، وأن ثوابهم سيتمايز على حسب تمايُز درجات اجتهادهم، فمَن تَتَقاذفُه الأحداث وتَختلف عليه الأحوال فيتردَّد بين الطاعات والمعاصي لا تَرقى مثوبتُه إلى درجة مَن كان يَخاف مَقام ربِّه، ويُجَدِّد خوفَه ويُداوِم عليه، ويَعمل بِمقتضاه – وإن كان خوف مقام الرّب ﷻ صفةً لا يَخْلُو منها أحد مِن المُوَحِّدِين، ولكن تتباين الدرجات.

سادسًا: أنّ صُنُوف النعيم وأنواعها في كلٍّ من طَبَقَتَيْ جنان (سورة الرحمن) مكررةٌ هي هي، فلم تَزِد إحدى درجتيها على الأخرى في أنواع النعيم وصنوفه، وإنما يقع التمايُز في أمرين:

* تَمايُزِ التفاصيل في كل صنفٍ من صنوف النعيم لدى كل مستوى من مستوَيَيْ تلك الْجِنَان – كما سبق بيانه في مظانّه من البحث.

* تَغايُرِ ترتيبِ صُنُوف النعيم لأهل الْجَنَّتَيْنِ الدُّنْيَيَيْنِ عن ترتيب صُنُوف النعيم لأهل الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَيْنِ، وذلك واضح في تأخير ذِكْر المتَّكأ لأهل الْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بعد توسيط متَّكأ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ صنوفَ نعيمهما.

سابعًا: يرى البحث أن تغايُر ترتيب صنوف النعيم تقديمًا وتأخيرًا قد يترجم ترتيب أولويات أهل كلِّ طَبَقَة في زمن التكليف هنا في الدنيا؛ فأتَى ترتيبُ صنوف النعيم على حَذْوِه؛ مُحَافَظَةً على ترتيب الرغبات؛ فالجنة دار جزاء و﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف:٧١].

ثامنًا: التمس البحث أن تَغاير ذلك الترتيب –من طَبَقَة إلى طَبَقَة– لتَتَمايَز رُتْبة كلِّ طَبَقَة عن الأخرى، أو لإفادة أن ترتيب صنوف النعيم لأصحاب الْجَنَّتَيْنِ العُلْيَيَيْنِ

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

هو الترتيب الأمثل بقرينة تقديمه ذِكْرًا.

تاسعًا: لعلّ ترتيب صنوف النعيم لكل طَبَقَة في الجنة هو المكافئ لأعمالهم التي سَبقتْ منهم في الدنيا، وأن ترتيبهم أعمالَهم الصالحة في الدنيا يقتضي ترتيبَ ذلك النعيم الذي ورد في (سورة الرحمن)، والله تعالىٰ أعلم.

عاشرًا: أنه مع اتفاق طَبَقَتَيْ جنان (سورة الرحمن) في صنوف النعيم فإنَّ القرآن الكريم يَختصّ نعيم كلِّ طَبَقَة منهما بِمزايا وتفاصيلَ تَمنحها خصوصيةً ليست لنعيم الطَبَقَة الأخرىٰ - كما اتّضح في التحليل. وأنه بِرغم ذلك تَتَجَلَّىٰ براعة الذِّكْر الحَكِيم في تمييز أهل الطَبَقَة العُليا بتفاصيل أرقىٰ، وبمزايا في صنوف النعيم أعلىٰ.

توصيات البحث:

يوصي البحث جموع الباحثين في رياض البلاغة القرآنية بعقد موازنات دقيقة بين متشابهات الموضوعات والفِكَر، مثل عقد موازنات بين سيدنا سليمان وذي القرنين قائدين، وبين كذا وكذا بداياتٍ ومآلات..

إلىٰ آخر أنواع الموازنات..

هذا، «والله تعالىٰ أعلم بإشارات كتابه، وحقائق خطابه، ودقائق كلامه التي لا تُحيط بها الأفهام، وتبارك اسمُ ربك ذُو الجلال والإكرام»[١٨٤].

* * *

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَحُسنِ تَوْفِيقِهِ

(١٨٤) الألوسي، «روح المعاني»، ١٤: ١٢٧.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد المري. ***«تفسير القرآن العزيز»***. تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفىٰ الكنز. (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي. ***«الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار»***. تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت. (ط١، لبنان، الرياض: دار التاج، مكتبة الرشد، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ابن حنبل، الإمام أحمد. ***«مسند الإمام أحمد بن حنبل»***. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي. ***«المحكم والمحيط الأعظم»***. تحقيق عبد الحميد هنداوي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي. ***«المخصص»***. تحقيق خليل إبراهيم جفال. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. ***«تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***. (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. ***«تفسير القرآن العظيم»***، تحقيق سامي بن محمد سلامة. (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. ***«لسان العرب»***. الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين. (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسىٰ الحسيني. ***«الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»***. تحقيق عدنان درويش، محمد المصري. (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ).
- أبو الحسن، مقاتل بن سليمان. ***«تفسير مقاتل بن سليمان»***. تحقيق عبد الله محمود شحاته. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان. ***«البحر المحيط في التفسير»***. تحقيق صدقي

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

محمد جميل. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

- الألباني، محمد ناصر الدين. «***سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة***». (ط١، الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. «***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***». تحقيق علي عبد الباري عطية. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر. «***الانتصار للقرآن***». تحقيق د.محمد عصام القضاة. (ط١، عَمَّان، بيروت: دار الفتح، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. «***صحيح البخاري***». تحقيق د.محمد زهير الناصر. (ط١، مصر: المطبعة الكبرىٰ الأميرية ببولاق، ١٤٢٢هـ).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. «***مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَىٰ مَقَاصِدِ السِّوَرِ***»، ويُسَمَّىٰ: «***المَقْصِدُ الأَسْمَىٰ فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّىٰ***». (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. «***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***». (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
- الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبي عبد الله الحكيم. «***نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ***». تحقيق عبد الرحمن عميرة. (د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت).
- تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. «***أحاديث القصاص***». تحقيق د.محمد بن لطفي الصباغ. (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم. «***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***». تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الجاوي، محمد بن عمر نووي. «***مراح لبيد لكشف معنىٰ القرآن المجيد***». تحقيق محمد أمين الصناوي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).
- جبل، محمد حسن حسن. «***المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها***». (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
- حجازي، محمد محمود. «***التفسير الواضح***». (ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣هـ).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد. «***لباب التأويل في معاني التنزيل***». تحقيق محمد علي شاهين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني. «***درة التنزيل وغرة التأويل***». دراسة وتحقيق وتعليق:

د.محمد مصطفىٰ آيدين. (ط١، جامعة أم القرىٰ، وزارة التعليم العالي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

- الخطيب، عبد الكريم يونس. «***التفسير القرآني للقرآن***». (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
- الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو. «***البيان في عدّ آي القرآن***». تحقيق غانم قدوري الحمد. (ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفي. «***إعراب القرآن وبيانه***». (ط٤، حمص، دمشق: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير، ١٤١٥هـ).
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. «***مفاتيح الغيب - التفسير الكبير***». (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- رضا، أحمد. «***معجم متن اللغة - موسوعة لغوية حديثة***». (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٧٧ - ١٣٨٠هـ).
- رضا، محمد رشيد بن علي. «***تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار***». (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).
- الزحيلي، وهبة. «***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***». (ط١، دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. «***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***». (ط٣، بيروت: دار الكتاب العرب، ١٤٠٧هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. «***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***». تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- سعيد، أحمد محمد محمود. «***دَوْرُ البلاغةِ القرآنيَّةِ في تأْديةِ الأغراضِ الشرعيَّةِ - الصورة البيانية في آياتُ الإنفاقِ من سُورةِ البقرةِ ١٦٢ - ٢٦٢ نَمُوذجًا***». مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة-جامعة الأزهر، (٢٠٢٢م).
- سعيد، أحمد محمد محمود. «***مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ في الذِّكْرِ الحَكِيمِ***». مجلة تدبر مج٧، ع١٤، (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م).
- سعيد، أحمد محمد محمود. «***من وجوه الإعجاز النظمي في آيات الإنس والجن - التقديم والتأخير***». مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق ع٤، (٢٠٠٢م).
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. «***بحر العلوم***». (د.ط، الشاملة، ١٤٣١هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. «***جامع الأحاديث، ويشتمل علىٰ جمع الجوامع، والجامع***

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

الأزهر، وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني». ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين. (د.ط، الشاملة، ١٤٣١هـ).

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. **«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»**. (ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، توزيع مكتبة الخراز، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- صدر الدين، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد. **«شرح العقيدة الطحاوية»**. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي. (ط١٠، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع. **«تفسير عبد الرزاق»**. دراسة وتحقيق د.محمود محمد عبده. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي. **«المعجم الكبير»**. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط١، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. **«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»**. تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك. **«شرح مشكل الآثار»**. تحقيق شعيب الأرنؤوط. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م).
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. **«الصناعتين: الكتابة والشعر»**. تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم. (د.ط، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. **«إحياء علوم الدين»**. (د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت).
- الغزِّيّ، محمد بن محمد العامري القرشي. **«حسن التنبه لما ورد في التشبه»**. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. (ط١، سوريا: دار النوادر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- الفراء، يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. **«معاني القرآن»**. تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. (ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو. **«كتاب العين»**. تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي. (د.ط، دار ومكتبة الهلال، الشاملة ١٤٣١هـ).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. **«الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي»**. تحقيق إبراهيم البسيوني. (د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- القشيري، أبو الفضل، بكر بن محمد بن العلاء القشيري. **«أحكام القرآن»**. تحقيق سلمان الصمدي. (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).

- القضاعي، أبو المجد عقيل بن عطية بن أبي أحمد. «***تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبىٰ والمآل - ومعه: مراتب الجزاء يوم القيامة، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي***». تحقيق مصطفىٰ باحو. (ط١، أبو ظبي: دار الإمام مالك، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود. «***تأويلات أهل السنة***». تحقيق د.مجدي باسلوم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مجموعة من العلماء. «***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***». (د.ط، / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- المراغي، أحمد بن مصطفىٰ. «***تفسير المراغي***». (ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
- مرعشلي، نديم، وأسامة. «***الصحاح في اللغة والعلوم - تجديد صحاح العلامة الجوهري، والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية***». تقديم: عبد الله العلايلي. (د.ط، د.ن، د.ت).
- مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. «***صحيح مسلم***». تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- المقدسي، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج. «***الآداب الشرعية والمنح المرعية***». (د.ط، عالم الكتب، د.ت).
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. «***البلاغة العربية***». (ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. «***إعراب القرآن***». وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- النووي، أبو زكريا، يحيىٰ بن شرف النووي. «***رياض الصالحين***». تعليق وتحقيق الدكتور ماهر ياسين الفحل. (ط١، دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- الهروي، محمد الأمين بن عبد الله. «***تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن***». مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي. (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ).
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. «***تهذيب اللغة***». تحقيق محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، «***الموسوعة الفقهية الكويتية***». (د.ط، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

رومنة المصادر والمراجع العربية

- The Holy Quran
- Abu Al-Baqa Al-Kafawi, Ayoub bin Musa Al-Husseini. "***El-Kulliyyat Mujam fil-Mustalahat wal-Furuki il-Lugaiyye***" Investigated by Adnan Darwish, Muhammad Al-Masry. (No Edition, Beirut: Mosasat Al-Resala, 1431H).
- Abu Al-Hassan, Muqatil bin Suleiman. "***Tafsir muqatil Bin Sulaiman***". Investigated by Abdullah Mahmoud Shehata. (T1, Beirut: Dar Ihya Al-Turath, 1423H).
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan. Al-Bahr al-Muhit fa tafsir. Investigated by Sedqi Muhammad Jamil. (No Edition, Beirut: Dar Al-Fikr, 1420H).
- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. Silsiletul-Eh ahadisi-al Daife wal-Maudwaa wa atharha Seyyi fil-umme (T1, Riyadh: Dar Al Maaref, 1412H – 1992M).
- Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini. Ruh al-Maani fi Tafsir al-'Azim wa as-Saba al-Mathani Prepared by Ali Abdel Bari Attia. (T1, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1415 H).
- Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl. Al-Shanhatin: Al-Ketaba wa al shair. Investigated by Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abi Al-Fadl Ibrahim. (No Edition, Beirut: Maktabat Al ansoura, 1419H).
- Al-Baqalani, Muhammad bin Al-Tayeb bin Muhammad bin Jaafar. Al entsar lil quran. Investigated by Dr. Muhammad Essam Al-Qudah. (T1, Oman, Beirut: Dar Al-Fath, Dar Ibn Hazm, 1422 H – 2001M).
- Al-Bikai, Ibrahim bin Omar bin Hassan. "***massad al anzr lel ashraf ala maqasid al suar " "Al maqsad alaasma fi mutabqat asm kol sura lel musmi***" (T1 Riyadh: Maktanat Al.maarif, 1408H – 1987M).
- Al-Bikai, Ibrahim bin Omar bin Hassan. " ***Nazm al-Durar fi tanasb al aiate fi al sura .***" (No Edition, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami, D.T.).
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah. "***Sahih Bukhari***". Investigated by Dr. Muhammad Zuhair Al-Nasser. (T1, Egypt: Al-Maṭbaah al-Kubra al-Amiriyah b Bulaq, 1422 H)

- Al-Dani, Othman bin Saeed Abu Amr. "***Al-Bayan fi Addi Ay al-Quran -***" Investigated by Ghanem Qaddouri Al-Hamad. (T1, Kuwait: Markaz al makhtutat wa al turath, 1414 H – 1996M)
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed bin Amr. "***Kitāb al-ʿAin***". Investigated by Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai. (No Edition, dar wa maktabat Al-Hilal, Al-Shamila, 1431H).
- Al-Farra, Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzur Al-Dailami. "***Mana al quran***". Investigate by Ahmed Youssef Al-Najati, Muhammad Ali Al-Najjar, and Abdel Fattah Ismail Al-Shalabi. (T1, Egypt: Dar al masrea lel talef wa al trjma.D T)
- Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Tusi. "***Ehyaa oloum aldean***" (No Edition, Beirut: Dar Al-Jeel, D.T.).
- Al-Ghazi, Muhammad bin Muhammad Al-Amiri Al-Qurashi. " ***hassn al tnbeh lma wrd fi al tshbh***" Investigate and study: A specialized committee of investigators under the supervision of Noureddine Taleb. (T1, Syria: Dar Al-Nawader, 1432H – 2011M).
- Al-Harawi, Muhammad Al-Amin bin Abdullah. "***Tafsir hdaq al roh wa al rehan fi rwabe olom alquran***". Review: Dr. Hashem Muhammad Ali bin Hussein Mahdi. (t1, Beirut: Dar Touq Al-Najat, 1421H).
- Al-Harawi, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari. Tahzib al Lugha Prepared by Muhammad Awad Merheb. (T1, Beirut: Darul ihya al turath al arabi, 2001 AD)
- Al-Jawi, Muhammad bin Omar Nawawi. "***Marah Labid lel kashf maina alquran el mageed***". Investigated by Muhammad Amin Al-Sanawi. (T1, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1417H).
- Al-Khatib, Abdul Karim Younis. "***Tafser alqurane el quran***" (No Edition, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, D.T)
- Al-Khatib Al-Iskafi, Muhammad bin Abdullah Al-Asbahani. "***Durrat al-Tanzil wa-Ghurrat al-Tawil***" Study, investigation and comment: Dr. Muhammad Mustafa Aydin. (T1, Jamat Umm Al-Qura, Wazarat Al-taleem Alaly, 1422 H – 2001M).
- Al-Khazen, Aladdin Ali bin Muhammad. "***lbab atawil fi manae al tanzel***". Investigated by Muhammad Ali Shaheen, (T1, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1415H).
- Al-Maidani, Abdul Rahman bin Hassan Habanka. "***Al balagha alarabiya***" (,

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, 1416H – 1996M).

- Al-Maqdisi, Muhammad bin Mufleh bin Muhammad bin Mufarraj. " ***al adab al sharey wa al mnh al mraheh***" (No Edition, Alam al-Kutub, D.T.)
- Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa. " ***Tafsir Al-Maraghi,***" (T1, Egypt:sharkat maktabat wa matbat mostafa albabi alhalaby wa awladh, 1365H - 1946 M).
- Al-Maturidi, Abu Mansur Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud. Tawilat Ahl As Sunnah. Investigated: Dr. Magdy Basloum. (T1, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1426 H – 2005M)
- Al-Nahhas, Ahmed bin Muhammad bin Ismail. "***Irab al Quran***". Footnoted and commented by: Abdel Moneim Khalil Ibrahim. (T1, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1421H).
- Al-Nawawi, Abu Zakaria, Yahya bin Sharaf Al-Nawawi. "***Riyadh Al-Salehin***". Commented and investigated by Dr. Maher Yassin Al-Fahal. (T1, Damascus: Dar Ibn Katheer lil Tabaa wa nashr wa tuzai, 1428 AH - 2007 AD).
- Al-Qada'i, Abu Al-Majd Aqeel bin Attiya bin Abi Ahmed. Tahrir elmaqal fi mawaznat alimaal wa hokom gir al mokalfeen fi aloqobi wa lmaal wamaah maratib aljazaa yom alqayama- li Abu Abdullah Muhammad bin Abi Nasr Al-Humaidi." Prepared by Mustafa Bahu. (T1, Abu Dhabi: Dar Imam Malik, 1427 H – 2006M).
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr. "***Al-Jami' fi Ahkam Al-Qur'an - Tafsir Al-Qurtubi***". Investigated by Ibrahim Al-Basiouni. (No Edition, Egypt: Al-Hayaa almasriya alamaa lilketab D T)
- Al-Qushayri, Abu Al-Fadl, Bakr bin Muhammad bin Al-Alaa Al-Qushayri. "***Ahkam al-Quran***" Prepared by Salman Al-Samadi. (T1, Dubai: Jaazat Dubai al dawliya lilquran, 1437H – 2016M).
- Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan "***Mfatuh al gheb wa al tfsir al kaber***" (T3, Beirut: Dar Ihya Al-Turath, 1420H).
- Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah. "***taysir al-karim al-rahman fi tafseer kalam al-mannan***" Prepared by Abd al-Rahman bin Mualla al-Luwaihiq. (T1, Mosasat Al-Resala, 1420 H – 2000M).
- Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad bin Ahmed bin Ibrahim. Bahrri al olom" (edition, Al-Shamila, 1431H).
- Al-Sanaani, Abdul Razzaq bin Hammam bin Nafi. "***tafsar Abd al-Razzaq.***" Study and Investigation by Dr. Mahmoud Muhammad Abdo. (T1, Beirut: Dar al

kotob al ilmiyah, 1419H).

- Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar bin Abdul Qadir. "***Dafaa eham al atrab an aeat al ktab***" (T1, Cairo: Maktabat Ibn Taymiyyah, Tawziaa Maktabat Al-Kharaz, 1417H – 1996M).
- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr. Jamaa al ahadiths waistamel ala Jamaa al jawmaa, jamaa al-azhar wi kenouz al haqaiq llemenawy, alfatha alkabeer ll Nabhani, preparing its texts and extract its hadiths : A team of researchers. (edition, Al-Shamila, 1431H).
- Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub Al-Lakhmi. " ***al mugam al kabear***" Investigated by Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi. (T1, Riyadh: Dar Al-Sumai, 1415H – 1994M).
- Al-Tabari, Abu Jaafar, Muhammad bin Jarir. "***Jami' Al-Bayan an taiwal ai al Quran.***" Investigated by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al Turki. (T1, Dar Hajar lel nashr wa tuzai,walialaan, 1422H – 2001M).
- Al-Tahawi, Ahmed bin Muhammad bin Salama bin Abdul Malik. "***Sharh Mashkal al-Athaar***". Investigated by Shuaib Al-Arnaout. (T1, Mosast Al-Resala, 1415H – 1494M)
- Al-Thaalabi, Abu Ishaq, Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim. "***Al kashf wa al bean an tafsir al quran***". Investigated by Imam Abu Muhammad bin Ashour. (T1 Beirut: Darul ihya al turath al arabi, 1422 H – 2002M)
- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Ali bin Al-Hasan bin Bishr, Abu Abdullah Al-Hakim. "***Nodr al asuol fi ahadith al rasool sallallahu alaihi wa slm***". Investigated by Abdul Rahman Amira. (No Edition, Beirut: Dar Al-Jeel, D.T.).
- Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr. "***Al kashf an haqaqa ghamod al tnzel***" (T3, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arab, 1407 H.)
- Al-Zuhaili, Wahba. "***afsir al munir fi al aqidah wal shariyah wal manhaj***" (T1, Damascus, Beirut: Dar Al-Fikr, Dar Al-Fikr al muasar, 1411H – 1991M).
- Darwish, Muhyiddin bin Ahmed Mustafa. " ***Arab al Quran wa beanh***" (t4, Homs, Damascus: Dar Al-Irshad Lil Shoun Al-Jamayia, Dar Al-Yamamah, Dar Ibn Katheer, 1415 H).
- Hegazy, Muhammad Mahmoud. "Tafsir Al Waadih " (T10, Beirut: Dar Al-Jeel Al-Jadeed, 1413 H).
- Ibn Abi Shaybah, Abdullah bin Muhammad Al-Kufi. "***Al-Kitabul Musannaf fil Ahadith wal Asaar***" Introducing and preparing, Kamal Youssef Al-Hout. (T1,

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

Lebanon, Riyadh: Dar Al-Taj, Maktabat Al-Rushd, Maktabat Oloom and Hikam , 1409H – 1989M).

- Ibn Abi Zamanin, Muhammad bin Abdullah bin Issa bin Muhammad Al-Marri. "***Tafseer al Quran al aziz***" (Interpretation of the Noble Quran) Prepared by Abu Abdullah Hussein bin Okasha, Muhammad bin Mustafa Al-Kanz. (T1, Cairo: Al-Farouq Al-Hadeeth, 1423 H – 2002M).
- Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir. "***Tahrir al maani al sadad wa tanwir el akl al jaded mn tfsar al Quran el mageed***" (No Edition, Tunisia: Al-dar-al-tonesia-lelnashr - 1984 H)
- Ibn Hanbal, Imam Ahmad. " ***Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal***" (Musnad Imam Ahmad bin Hanbal) Investigate by Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, and others. Supervision: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al Turki. (T1, Mosasat Al-Resala, 1421H – 2001M).
- Ibn Kathir, Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi. "***Tafseer Al Quran Alazam***" (Interpretation of the Great Quran), investigated by Sami bin Mohammed Salama. (T1, dar taiba lel nashr wa tuzai, 1420 H – 1999M)
- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali. "***Lisan al- Arab***" Al hawash Al-Yazji wa gmaeh mn il-Lugaiyyen (T3, Beirut: Dar Sader, 1414H).
- ibn Sidah, Ali Ibn Ismail al-Mursi, "***al Muhasass***" Investigated by Khalil Ibrahim Jaffal. (T1, Beirut: Darul ihya al turath al arabi, 1417H – 1996M)
- ibn Sidah, Ali Ibn Ismail al-Mursi, "***Muhakim wal Muhit al-Adhama***" Prepared by Abdul Hamid Hindawi. (1St, Beirut: Dar al kotob al ilmiyah, 1421 AH - 2000 AD).
- Jabal, Muhammad Hassan Hassan. "***Al mojam al ashtqaqe al muasal la lfaz alquran al kareem muasal bin alaqat bin alfaz al quran al kareem basswataha wa bena manaeha***" (T1, Cairo: Maktabt Al Adab, 2010M)
- Maraşli, Nadim, wa Osama. "***Sahih fi allogha wa aloulom, Tajdid sehah Allama Al-Jawhari, walmostalhat elilmiya wa alfaniya lil majamiah wa aljamat al-arabiya.***" Presentation: Abdullah Al-Alayli. (D.T, D.N, D.T).
- Mojamaa al bohouth alislamya bi alazhar. "***Tafsir al waseet lel al quran alkareem***" (No Edition, 1393H – 1973M - 1414H – 1993M).
- Muslim, Abu Al-Hussein, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi. "***Sahih Muslim***" Prepared by Muhammad Fouad Abdel Baqi. (No Edition, Cairo: Matbaat Issa Al-Babi Al-Halabi wa sharkaaih, 1374H – 1955M).

- Reda, Ahmed. "***Mogam mtn elgha mousoa Lughwayi hadetha***" (No Edition, Beirut: Dar Maktabt Al-Hayat, 1377-1380H).
- Reda, Muhammad Rashid bin Ali. "***Tafsir al quran al hakeem - Tafsir al-Manar***" (No Edition, Al-Hayaa almasriya alamaa lilketab, 1990).
- Sadr al-Din, Muhammad bin Alaa al-Din Ali bin Muhammad "***Sharh al aqeda al Tahawi***". Investigated by Shuaib Al-Arnaout, Abdullah bin Al-Muhsin Al-Turki. (10 St edition, Beirut: Mosasat Al-Resala, 1417H – 1997M).
- Saeed, Ahmed Mohamed Mahmoud. Dor al-balagah alqurani fi tadiyat Alaghrad alshriaa-alsura albaynia fi ayat alinfaq men surat Al-baqara 261-266 ka namozaj." (T1, Cairo: Majalat Kolyat Alga al-arabiya fi al qhira – Jamaat Al-Azhar fi al qhira Cairo, 2012).
- Saeed, Ahmed Mohamed Mahmoud. men wajh al ajaz al nazmy fi ayat alas wa aljen "***Among the aspects of the regular miracle in the verses of mankind and the jinn – Taqdem wa ltaqeer.***" (T1, Majalt kolyet aldarsat alislamya wa al-Arabiya bi Dessouk - Fourth Issue, 2002M).
- Saeed, Ahmed Mohamed Mahmoud. "men wajh al ajaz al balaghe ltaker ma eqtdd al zahar taqdemhi fi al zkr al hakeem " (T1, Tadbeer Magazine, Issue Fourteen, Rajab 1444 H/January 2023M).
- Taqi al-Din, Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam Ibn Taymiyyah. "***Hadiths al qasas***". Investigated by Dr. Muhammad bin Lutfi Al-Sabbagh. (t3, Beirut: The Islamic Office, 1408H – 1988M).
- Wizarat iliwkaf walsehoon ilislamiya, ***"Elmawsouaa elfiqhiya al Kuwaitiya."*** (No Edition, Kuwait: Wizarat iliwkaf walsehoon ilislamiya, 1404 - 1427 H).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

فهرس الموضوعات

المستخلص ٨١
المقدمة ٨٧
التمهيد ٨٩
الآيات الكريمات محل الدراسة ٩٥
المُوازَنَةُ الأُولَى: بَيْنَ مَطْلَعِ وَصْفِ جَنَّتَيْ كُلِّ طَبَقَة مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن) ٩٨
المُوازَنَةُ الثَّانِيَةُ: بين وَصْفَي الخُضْرَةِ في كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن) ١٠٨
المُوازَنَةُ الثَّالِثَةُ: بين أَوْصَافِ العَيْن في كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن) ١١١
المُوازَنَةُ الرَّبِعَةُ: بَيْنَ أَوْصَافِ الفَوَاكِهِ في كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن) ١١٧
المُوازَنَةُ الخَامِسَةُ: بَينَ أَوْصَافِ فُرُشِ المُتَّكَأ في كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن) ١٢١
المُوازَنَةُ السَّادِسَةُ: بَيْنَ أَوْصَافِ الحُورِ العِينِ في كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَان ١٢٦

الْمُوَازَنَةُ السَّابِعَةُ: بَيْنَ خَتْمِ أَوْصَافِ النَّعِيمِ فِي كلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَتَيْ جِنَانِ (سورة الرحمن).....١٣٧

الخاتمة.....١٤١

ثبت المصادر والمراجع.....١٤٤

رومنة المصادر والمراجع العربية.....١٤٩

فهرس الموضوعات.....١٥٥

DOI Prefix 10.62488 (Issn-E): 1658-9718

TADABBUR JOURNAL

Office Khibrat Taibah or research and studie

License no: 149603

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue NO.(2), Volume (1), Year 1/ Rajab 1445 AH, corresponding to january 2024

(Issn-E): 1658-9718 DOI Prefix 10.62488 Certified in Arab Citation & ImpactFactor «Arcif» (2023)

Issue Topics

- Imam Al-Shafi'i's Argumentation based on the context in his Tafsir "interpretation" of the verses of rulesApplied Analytical Study. Dr. Hassan bin Thabit Al-Hazmi
- From the Rhetoric of the Quran on Differentiating Descriptions of Ranks of Bliss of "Na'im" in the Gardens "Surat AR-Hman" Professor/ Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed
- The story of a believer of "Surat Yassin" tafsir (Interpretation), gueses, rulings Dr. Majid bin Abdul Rahman Al-Samaan
- The advocacy rules derived from the story of the chiefs of Bani Israel in "Surat Al-Baqarah" (analytical deductive study). Dr. Abdul Latif bin Hamoud Al-Tuwaijri
- The Connotation of meaning and functional significance of the inclusion in the book Ghayat Al-Amani in the interpretation of divine speech By Imam Shihab al-Din Ahmad bin Ismail .al-Kurani, who died in 893 AH Applied theoretical study Dr. Adel bin Omar bin Omar Yaslam Basfar
- Recommendations of Researchers in Peer-Reviewed Academic JournalsAn Inductive and Evaluative Study (Tadabbur Journal As Case Study). Dr. Abdullah bin Abdulaziz Alobaid
- Report on a scientific thesis entitled: The Qur'anic guidance in Surat Al-Tawbah from verse .(93) to the end of the surah and in Surat Yunus from verse (1-25),an applied study .Dr. Hisham Mohamed Saif
- A report on a scientific book entitled: Text of Al-Tamheer in Fundamentals of Tafsir (Interpretation), its explanation: Al-Tahbir, explaining Al-Tamhair in Fundamentals of .Interpretation. written by: Prof. Mohamed bin Saree bin Abdullah Al Saree
- Report on an international conference entitled: The Second International Forum for Students of Holy Qur'an Colleges, "Human Values in the Holy Qur'an, Rooting and .Revealing," Al Qasimia University,UAE

25 SR

1658-7642

ISSN